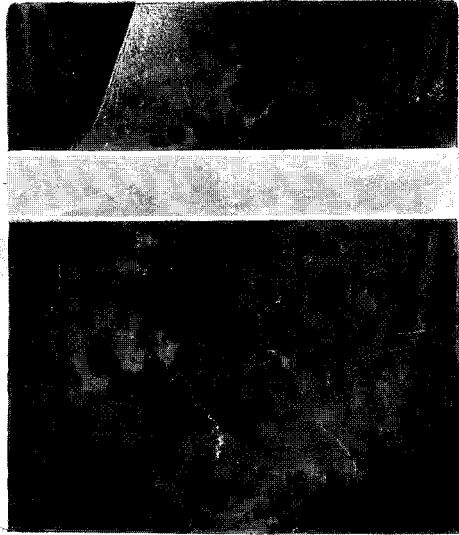
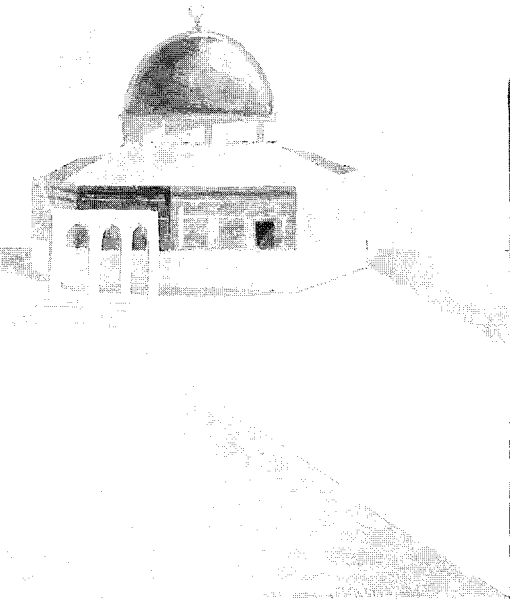


لواء أحمد عبد الوهّاب

الإسلام والأديان الأخرى

نقاط الاتفاق والاختلاف



مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

لواء أحمد عبد الوهاب

الإسلام والأديان الأخرى

نقاط الاتفاق والاختلاف

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية - عابدين ط : ٣٩١١٣٩٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر



مكتبة التراث الإسلامي

فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

ت : ٣٩١١٣٩٧

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

دين الله واحد ، ما في ذلك شك .. والبرهان على ذلك سهل ميسور . فلقد أثبتت أبحاث العالم الألماني الدكتور ميلر : « أن الناس كانوا في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص ، وأن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الدينيين » ^(١) .

وفي دراسة عن عقائد القبائل الوثنية في أفريقيا وجد « أن فكرة الله الأعلى ، تكاد تكون موجودة لدى جميع القبائل . بل إن مفهوم الذات الإلهية الكلية الحضور ، والذاتية الإكتفاء ، والشاملة القدرة ، نجده بين كثير من القبائل .. ومفاهيم الخير والشر موجودة أيضاً في هذه الديانات (الإفريقية) ، بل لعلها عميقة الجذور فيها إلى حد لا يتصوره الكثيرون » ^(٢) .

(١) من مقدمة « تفصيل آيات القرآن الحكيم » — وضعه بالفرنسية : جول لا بوم — نقله إلى العربية : محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) الرب والله وجوو (الاديان في افريقيا المعاصرة) — تأليف القس جاك مندلسون ص ١٠٨ .

هذا ما أثبتته العلم الحديث ... وهو ما سبق أن قاله القرآن — ولا يزال يقوله للناس — منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان . ففى تقرير موجز نجده يقول :

﴿وَمَا كَانَ
النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَأَخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .
[سورة يونس : ١٩]

وبشىء من التفصيل نجده يقول :

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة البقرة] .

إن دين الله يقوم على قاعدتين أساسيتين ، الأولى : إيمان بالله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشبيه والمثل . وتصاغ هذه العقيدة ببساطة ووضوح فى قول : لا إله إلا الله .

والثانية : عمل صالح وفق شرع الله الذى أرشد إلى الخيرات وحث على فعلها ، وحدد السيئات ونهى عنها . وبتحقيق هذين العنصرين — الإيمان والعمل الصالح — يرتقى الإنسان إلى مستوى الأبرار ، فيضمن بذلك الحياة الأبدية فى سلام دائم ونعيم مقيم .

وهذا الكتاب الذى بين يدي القارىء الآن ، كان بحثا ألقى فى ندوة التعريف بالإسلام التى عقدت فى جامعة رايبدا (سانتا ماريا) بأسبانيا

في أغسطس ١٩٩١ ، تحت عنوان : **الإسلام والأديان السماوية الأخرى — ويقصد بها تحديدا : اليهودية والمسيحية —** ثم رؤى من الأفضل نشره بين الناس بعد تدعيمه بعدد من الملاحق التي تعالج بشيء من التفصيل بعض موضوعات البحث ، والتي كان من المتعذر عرضها خلال وقت الندوة المحدد . فلقد أثبت الواقع — والواقع دائما خير برهان — **أن كثيرا من الناس لا يقرءون كتابهم المقدس** ولا يهتمون **بمعرفة مصادر عقائدهم وتطورها** . ومن ثم جاء هذا الكتاب في صورة مبسطة تعطى موجزا لنقاط الاتفاق والاختلاف بين الإسلام وكل من اليهودية والمسيحية ، بما يسمح للقارئ الذي شغلته مشاكل الحياة اليومية عن الالمام بمثل هذه الموضوعات ، أن يحيط بشيء منها في عصر تدفق المعلومات وتشابك العلاقات وازدياد الاحتكاك والمخالطة بين الأفراد والجماعات .

*

اليوم أصبحت « النصوص المقدسة » في متناول الجميع ، فلم تعد هناك حاجة إلى وسيط يلقي ، أو مسيطر يملئ فهمها خاصا فيما يتعلق **بالمعتقدات . فالعقل الإنساني كفيلا بالفهم والاستيعاب** . ومن حسن الحظ أن هذا ما أتفقت عليه الديانات الثلاث .

ففي اليهودية : نجد دعوة إلى استعمال العقل في فحص مختلف القضايا ، كما نجد تنديدا شديدا بالأغبياء وعديمي البصيرة . **لقد كان هذا آخر وحى لموسى وهو يتحدث إلى بنى إسرائيل ويتحدث عنهم :** « أ الرب تكافون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيمة !.. إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم لو عقلوا لفطنوا — تثنية ٣٢ : ٦ ، ٢٨ — ٢٩ » .

ونجد مثل ذلك في أسفار الأنبياء مثل اشعيا وحزقيال عند التنديد ببني إسرائيل : « غلظ قلب هذا الشعب وثقل اذنيه واطمس عينيه : لئلا

يُصِرُّ بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ وَيَفْهَمُ بِقَلْبِهِ وَيَرْجِعُ فَيُشْفَى — اشعيا ٦ :
١٠ » .

« كان إلى كلام الرب : يا ابن آدم ! أنت ساكن في وسط بيت
متمرد : الذين لهم أعين لينظروا ولا ينظرون . لهم آذان ليسمعوا ولا
يسمعون — حزقيال ١٢ : ١ — ٢ » .

وفي المسيحية : نجد المسيح يندد بالاسرائيليين الذين عاصروه
لأنهم أبطلوا حواسهم وعقولهم ، فيقول : « قد تمت نبوءة أشعيا
القائلة : تسمعون سمعا ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون —
متى ١٣ : ١٤ » .

ثم كان حرص المسيح على أن يختم بعض أمثاله ومواعظه بدعوة
إلى إعمال العقل وذلك عن طريق السمع الواعي فيقول : « من له أذنان
للسمع فليسمع — متى ١١ : ١٥ ، ١٣ : ٩ ، لوقا ٨ : ٨ » .

وفي الإسلام : نجد سيادة للعقل يحكم بموجبها في مختلف القضايا
وفي مقدمتها قضايا الدين . وفي هذا يقول القرآن عقب عرض كثير من
هذه القضايا :

﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ .

[سورة النور : ٦١]

﴿ لعلكم تعقلون ﴾ [سورة البقرة : ٧٣ ، ٢٤٢ — سورة يوسف : ٢ —

سورة غافر : ٦٧ — سورة الزخرف : ٣ — سورة الحديد : ١٧] .

﴿ أفلا تعقلون ﴾ .

[سورة البقرة : ٤٤ ، ٧٦ — سورة آل عمران : ٦٥ — سورة الأنعام : ٣٢] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ

تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ وَقَدْ أَنْتُمْ قَكْرَاءُ ﴾ [سورة سبأ : ٤٦]

﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ . [سورة الأعراف : ١٨٤ — سورة الروم : ٨]
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف : ١٧٦ — سورة النحل : ٤٤ — سورة الحشر : ٢١] .

﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الروم : ٢١ — سورة الزمر : ٤٢ — سورة الجاثية : ١٣] .

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا

الْأَلْبَابِ ﴾ . [سورة ص : ٢٩]

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

[سورة البقرة : ٢٦٩ — سورة آل عمران : ٧]

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

[سورة الرعد : ٤٩ — سورة الزمر : ٩]

﴿ وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلْيَذَكِّرُوا وَلَوْ لَا الْأَلْبَابُ ﴾ .

[سورة إبراهيم : ٥٢]

ونقرأ من أحاديث رسول الله ﷺ قوله : « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ! فأقبل . ثم قال له : أدبر ! فأدبر . ثم قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم على منك . بك آخذ ، وبك أعطي ، وبك أثيب ، وبك أعاقب » ^(١) .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « لكل شيء دعامة ، ودعامة المؤمن عقله . فبقدر عقله تكون عبادته . أما سمعتم قول الفجار في النار : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٢) » [سورة الملك : ١٠]

(١) الطبراني في الأوسط .

(٢) ابن المحبر وعنه الحارث .

هذا وإن غاية ما أرجوه أن يقدم هذا الكتاب موجزا كافيا لنقاط الاتفاق والاختلاف الرئيسية بين الإسلام واليهودية والمسيحية . ووسيلته إلى ذلك وضع النصوص المقدسة بين يدي القارئ ، وله بعد ذلك أن يحكم العقل ويمعن النظر ويتدبر الأمر .

ولعل هذا الكتاب يكون — بذلك — وسيلة لتصحيح المفاهيم الخاطئة والأحكام المسبقة والتقاليد المتوارثة التي جانبها الصواب ، فيساعد على التقريب والمودة بدلا من التباعد والجفاء ، خاصة ونحن في عصر يتجه نحو العالمية ، ويبحث عن المفاهيم المشتركة بين الناس .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَسْمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[سورة آل عمران : ١٩٣ — ١٩٤]

أحمد عبد الوهاب

الفصل الأول:

مدخل إلى الإسلام

- الإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعا
- عقائد وتعاليم أساسية في الإسلام
- الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى

مدخل إلى الإسلام

تعريف :

تأتى كلمة الإسلام من مادة (سلم) . ويقال (سَلِمَ) : **انقاد** و**رضى بالحكم** . وسَلَّمَ على القوم : حياهم بالسلام . وسَلَّمَ أمره لله : أسلمه إليه سبحانه . السلام : السلامة والبراءة من العيوب . والسلام : الأمان والصلح . والسلام : اسم من أسماء الله الحسنى ، **وقد سميت الجنة : دار السلام لأنها دار السلام الأبدى والنعيم المقيم** . (سَأَلَمَ) : صالح . واستسلم انقاد .

الإسلام : الخضوع لله والعيش وفق منهجه ومن ثَمَّ الحياة في سلام دائم . وبذلك يكون المسلم هو كل من أسلم قلبه ووجهه إلى الله .

أولاً : الإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعاً

لم يكن الإسلام الذي دعا إليه محمد رسول الله ﷺ في مطلع القرن السابع الميلادي ديناً جديداً ، إنما كان تجديداً لدين الله الحق ، الإله الواحد ذى الدين الواحد ، وذلك بعد أن تعرض لتشويه وانحراف ودخلت عليه أوهام وضلالات من صنع البشر .

فلقد خاطب الله نبيه محمداً في القرآن بقوله :

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة الأنعام : ١٦١]

والإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعاً ومن تبعهم من عباد الله الصالحين وذلك منذ الخليفة إلى قيام الساعة . فهذا ما يقوله القرآن .

فلقد كان نوح — أبو البشرية الثاني — مسلماً ، إذ قال لقومه :

﴿ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ

مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِثَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا

أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا

إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة يونس : ٧١ — ٧٢]

وكذلك كان إبراهيم وبنوه : إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، كانوا جميعاً مسلمين ، وتواصوا وذرياتهم أن يكونوا مسلمين :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ

مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ

قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ

وَيَعْقُوبُ يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ .

[سورة البقرة : ١٣٠ - ١٣٣]

وكان بنو إسرائيل الذين آمنوا بالله حقا وبعده المرسل موسى
مسلمين : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ

ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٨٤]

وكان سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى — رسولا من الله —
مسلمين ، إذ قالوا لفرعون ، فى تحد وثبات :

﴿ وَمَا نَنقِمْ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَارُ بَنَىٰ أَفْرَعَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف : ١٢٦]

وكان جميع أنبياء بنى إسرائيل مسلمين . هكذا يقول الله فى القرآن :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ . [سورة المائدة : ٤٤]

وكذلك كان حواريو المسيح وتلاميذه مسلمين :

﴿ قَالِ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

[سورة آل عمران]

من أجل ذلك كان الحق الذي لا مرية فيه ، هو قول الله في القرآن :

﴿ إِنِّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩]

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

[سورة آل عمران : ٨٥]

ولقد قال محمد رسول الله ﷺ في حقيقة وحدة الدين : « الانبياء أخوة ، أبناء علات ، أماتهم شتى ، ودينهم واحد » (أخرجه الشيخان)

وعلى ضوء ما قدمنا ، وخاصة عند الحديث عن تعريف كلمة

الإسلام ، نجد توافقا بين دعوة الاسفار ودعوة القرآن إلى الإسلام . **ففى**

سفر أيوب : « هوذا الله في علو السموات .. تعرّف به واسلم . وبذلك

يأتيك خير . اقبل الشريعة من فيه ، وضع كلامه في قلبك » .

(أيوب ٢٢ : ١٢ ، ٢١ — ٢٢)

ثانيا : عقائد وتعاليم أساسية في الإسلام الإيمان الكامل

هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر يوم البعث والجزاء :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ ﴾ .

[سورة البقرة : ٢٨٥]

أما الذين ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَيَقُولُوا نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ ﴾ (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿ ١٥١ ﴾ .

[سورة النساء : ١٥٠ - ١٥١]

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلَاسَّيْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٦)

[سورة البقرة]

فحقيقة الدين ليست طقوسا وحركات جوفاء ، لكنها إيمان كامل
 وقر في القلب وصدقه عمل صالح :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
 الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
 وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
 وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ . [سورة البقرة]

تلك هي عناصر الإيمان بوجه عام ، والآن نعرض بعض هذه العناصر
 بشيء من التفصيل .

١ - الله

هو الاله الواحد الأحد ، الذي تنزه عن الشبيه والمثل :
 ﴿وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾
 [سورة البقرة : ١٦٣]

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ
 وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾
 [سورة الأخصاص]

ولقد قال محمد رسول الله ﷺ إن سورة الاخلاص هذه تعدل ثلث
 القرآن .

وهو أرحم الراحمين حقا ، فهو أرحم بالإنسان من رحمة الأم
 بوليدها :

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤]

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ .
[سورة الأنعام : ١٤٧]

﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٦]

وهو الذي يغفر ذنوب الإنسان جميعها مهما عظمت ، دون واسطة
أو شفيع :

﴿ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

[سورة الزمر : ٥٣]

لكن ذنبا واحدا لن يغفر للإنسان ، وهو أن يلقي ربه وقد أشرك به
شيئاً :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

[سورة النساء : ١١٦]

والله أقرب للإنسان من مكونات جسده :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

[سورة ق : ١٦]

وَإِذَا سَأَلَكَ

﴿ عِبَادِيَ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَيَّ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

[سورة البقرة : ١٨٦]

ولقد غفر الله خطيئة آدم ، بعد أن قبل توبته واستغفاره :

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ﴾ .

[سورة طه : ١٢٢]

﴿فَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

[سورة البقرة : ٣٧]

ولذلك لا يوجد في الإسلام ما يقال عن خطيئة أصلية يتوارثها الابناء
عن الآباء : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر : ٣٨]

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الإسراء : ١٥]

والله ليس الها اختص بقبيلة من القبائل أو شعب من الشعوب ، ثم
ترك الآخرين دون هدى ورحمة . فلقد اقتضت رحمته وعدله أن يبعث
رسله إلى كل الأمم ، ما نعلم وما لا نعلم :

﴿وان من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [سورة فاطر : ٢٤]

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ﴾ [سورة النحل : ٣٦]

﴿وَالِإِلَٰهَ

أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ

غَيْرُهُ﴾ ﴿وَالِإِلَٰهَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ

يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ...﴾

﴿وَالِإِلَٰهَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾

[سورة هود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤]

وما هؤلاء إلا جزء يسير من عدد هائل من رسل الله إلى الناس :

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ

مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

[سورة النساء : ١٦٤ - ١٦٥]

٢ - الأنبياء

هم القدوة والمثل الصالحة ، اصطفاهم الله وجعلهم هداة للبشرية ،
ولهذا يؤمن بهم كل مسلم ويتخذ من سيرهم العطرة وجهادهم المتواصل
نماذج تحتذى .

يقول الله عن نوح وإبراهيم ومن صلح من آبائهم وذرياتهم
وإخوانهم : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى
قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ﴾ . [سورة الأنعام : ٨٣]

﴿ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْنَبَتْهُمْ
وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . ﴿٨٧﴾

[سورة الأنعام]

٣ - الإنسان

هو من بين أكرم الخلاق عند الله :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء : ٧٠]

ويتفاضل الإنسان عند الله بعمله وتقواه ، لا بنسبه ولونه :

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[سورة الحجرات : ١٣]

وليحيا الناس في مودة وسلام ، فذلك خير لهم جميعا :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا
فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

[سورة البقرة : ٢٠٨]

وعلى الناس أن يتعايشوا في سلام ، وألا يكون اختلاف الدين سببا
للعداوة والبغضاء فالحق يقول :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ .

[سورة هود : ١١٨]

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ
جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة يونس : ٩٩]

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ﴾

[سورة البقرة : ٢٥٦]

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقِنَّا لَكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُكُمْ
مَنْ دَبَّرَكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقْطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْطِبِينَ ۚ ﴾

[سورة الممتحنة : ٨]

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة التوبة : ٦]

وإذا كان الله قد تفضل على الإنسان فجعله خليفة في الأرض ،
يعمرها ويستثمر خيراتها ، فليس مجال عمله مقصورا على الأرض فقط ،
بل إنه يمتد عاليا ليشمل السماء :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية : ١٣]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ
وَالِإِلَهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

[سورة لقمان : ٢٠ — ٢٢]

ثالثا : الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى

مخاطبتهم كطرف في قضية الايمان بالله ورسالاته :

جعل الإسلام لأهل الكتاب من اليهود والنصارى منزلة خاصة في المعاملة والتشريع ، باعتبارهم يتوارثون كتبنا نزلت أصولها الأولى من الله إلى عباده المكرمين من الأنبياء والمرسلين . ومن الطبيعي أن يصدق القرآن على ما يوجد من حق في تلك الكتب ما دام المصدر واحدا ، وهو الله ، فيزيد المؤمنين من أهل الكتاب إيمانا بآيات الله ، ويدفعهم إلى تعزيد نبي الإسلام الخاتم في مواجهة المشركين وعبداء الأوثان . ولهذا توجه القرآن إليهم بالخطاب الكريم مرات ومرات ، فقال :

﴿ يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ (٤٠) وَعَا مَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِينَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي
ثِمَّنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝ (٤١) وَلَا تَلْسِسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ
وَتَكُنُّمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَاْمُونَ ۝ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤]

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة المائدة : ١٩]

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً
مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءً الْيَلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾

[سورة آل عمران ١١٣ : ١١٥]

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ

عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
التَّوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

[سورة الأعراف : ١٥٧]

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٦]

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن نبوءات النبي الخاتم في الأسفار ،
ولكن نكتفي بإشارة مقتضبة لبعضها حيث يوصف بأنه :

● نبي مثل موسى — ليس من بني اسرائيل — ولكنه من بين
اخوتهم أي من ابناء عمومتهم^(١) ، يضع الله كلامه في فمه ، فلقد قال
الرب لموسى : ” أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي
في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به — تثنية ١٨ : ١٧ “ .

● النبي الذي كان ينتظره اليهود على عهد يوحنا المعمدان كواحد

من المنتظرين الثلاثة :

” وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة
ولاويين ليسألوه : من أنت ؟

فاعترف ولم ينكر وأقر : أنى لست أنا المسيح .

فسألوه : إذا ماذا ؟ إيليا أنت ؟

فقال : لست أنا .

(١) تعتبر الأسفار أن ذرية الأحفاد يعتبرون أخوة لذرية الأحفاد الذين يشتركون
معهم في الجد الأكبر . ومن أمثلة ذلك قول الرب لموسى : ” أوص الشعب قائلا :
أنتم مارون بتخم اخوتكم بني عيسو الساكنين في سعيير — سفر التثنية ٢ : ٤ “ .
لقد كان عيسو ويعقوب (اسرائيل) أخوة ، وكان أبناء الجيل الأول لكل منهما
أبناء عمومة للآخرين . وعلى عهد موسى دعى أحفاد كل منهما أخوة لأحفاد الآخرين .

النبي أنت ؟

فأجاب : لا — انجيل يوحنا ١ : ١٩ — ٢١ “

● المعزى روح الحق الذي بشر به المسيح :

” أنا اطلب من الآب فيعطيك معزيا آخر .. روح الحق — انجيل يوحنا ١٤ : ١٦ — ١٧ “ . ويقرر يوحنا في رسائله أن روح الحق هو انسان مؤمن حقا ، فيقول :

” نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا . من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال — (١) يوحنا ٤ : ٦ “ .

اعطاؤهم وضعا متميزا في التعامل والعلاقات :

﴿ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : ٤٦]

ويبيح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب ، والأكل من ذبائحهم ومصاهرتهم والتزوج من نسائهم . وبهذا أباح للمسلم أن تكون شريكة حياته وأم أولاده غير مسلمة وأن يكون أخوال أولاده وخالاتهم من غير المسلمين . ويكون لهذه الزوجة الكتابية القيام بفروض عباداتها والذهاب إلى معبدها أو كنيستها لممارسة شعائر دينها :

﴿ أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾

[سورة المائدة : ٥]

الفصل الثاني :

موجز لنقاط الاتفاق بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

□ الله

□ الأنبياء

□ من تعاليم الحياة اليومية

□ البعث والجزاء في الآخرة

موجز لنقاط الاتفاق بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

يقصد بالأديان السماوية الأخرى — في هذه الدراسة — ما اصطلاح على تسميته بالديانة اليهودية والديانة المسيحية أو النصرانية . ولسوف يكون البحث في نقاط الاتفاق بين هذه الأديان مقصورا على عرض ما في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، والذي سوف نشير إليه باختصار بكلمة : الأسفار — وما نجده في القرآن ، وما يتعلق بذلك من تفاسير وتعليقات .. وذلك فيما يتعلق بالموضوعات الأساسية التالية :

- ☐ الإله
- ☐ الأنبياء
- ☐ من تعاليم الحياة اليومية
- ☐ البعث والجزاء في الآخرة

١ — الله

هو الإله الذي لا إله إلا هو :

إن الإسلام دين التوحيد الخالص ، ولهذا فإن المسلم يعترف بصحة

كل قول أو حديث يؤكد توحيد الله ويدعو إليه . ومن أمثلة ذلك ما نجده في الأسفار ويأتي مصداقا لما يقرره القرآن .

ففي الوصية الأولى لموسى ولبنى اسرائيل : ” أنا الرب الهك . لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما .. لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأنني أنا الرب الهك اله غيور — سفر الخروج ٢٠ : ٢ — ٥ “ .

وفي الوحي إلى أشعياء : ” قلبي لم يصور الهه وبعدي لا يكون . أنا أنا الرب وليس غيري مخلص ... أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري ... أنا الله وليس آخر — ٤٣ : ١٠ — ١١ ، ٤٤ : ٦ ، ٤٥ : ٢٢ “ .

وفي أقوال المسيح وتعاليمه : ” وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته — انجيل يوحنا ١٧ : ٣ “ .

” كيف تقدر أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض . والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه — انجيل يوحنا ٥ : ٤٤ “ .

” جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله : أية وصية هي أول الكل : فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هي :

اسمع يا اسرائيل : الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب الهك من كل قلبك .. هذه هي الوصية الأولى . وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك .. فقال له الكاتب : جيدا يا معلم . بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه .. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له : لست بعيدا عن ملكوت الله — انجيل مرقس ١٢ : ٢٨ — ٣٤ “ .

وفي رسائل تلاميذه : ” أنت تؤمن أن الله واحد . حسنا تفعل .
والشياطين يؤمنون ويقشعون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل
أن الإيمان بدون أعمال ميت — رسالة يعقوب ٢ : ١٩ — ٢٠ “ .
وفي القرآن :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾
[سورة الأنبياء : ٢٥]
﴿ إِنَّمَا

إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾
[سورة طه : ٩٨]

﴿ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾
[سورة الكهف : ١١٠]

ليس كمثله شيء على الإطلاق :

” ليس مثل الله .. الإله القديم — سفر التثنية ٣٣ : ٢٦ “ .
” بمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به ؟! بمن تشبهونني
وتسوونني وتمثلونني لتتشابه ؟! — سفر أشعيا ٤٠ : ١٨ ، ٤٦ :
٥ “ .

” الله لم يره أحد قط — انجيل يوحنا ١ : ١٨ “ .
” الذي لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه — الرسالة الثانية
إلى تيموثاوس ٦ : ١٦ “ .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى : ١١]
﴿ لَا تَدْرِكُهُ

الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
[سورة الأنعام : ١٠٣]

هو الحي الذي لا يموت أبداً :

” أنا أنا هو وليس إله معي . أنا أميت وأحيي .. حي أنا إلى الأبد —
سفر التثنية ٣٢ : ٣٩ — ٤٠ “ .

” الذي وحده له عدم الموت — الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٦ :
١٦ “ .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾

[سورة الفرقان : ٥٨]

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [سورة آل عمران : ٢]

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

[سورة غافر : ٦٥]

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

٢ — الأنبياء

هم عباد الله المكرمون ، اختصهم برحمته وجعل منهم حملة رسالاته
إلى الناس ، و” الله أعلم حيث يجعل رسالته “ ، وهذا بعض ما تقوله
الكتب المقدسة في كوكبة متميزة منهم .

نوح :

” كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله . وسار نوح مع الله .. وقال
الرب لنوح أدخل أنت وجميع بنيك إلى الفلك . لأنني إياك رأيت باراً
لدى في هذا الجيل — سفر التكوين ٦ : ٩ ، ٧ : ١ “ .

﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ

وفي القرآن :

الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

[سورة الصافات]

﴿ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ

[سورة الصافات]

عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾

[سورة الاسراء : ٣]

﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

[سورة سبأ : ١٣]

﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾

موسى :

” أما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض ...

نزل الرب في عمود سحاب .. ودعا هارون ومريم .. فقال اسمعا كلامي . إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له في الحلم أكلمه . وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي — سفر العدد ١٢ : ٣ ، ٥ — ٧ “ .

﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي

فَخُذْ مَاءَ آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [سورة الأعراف]

[سورة النساء : ١٦٤]

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾

﴿ سَلَّمَ عَلَى مُوسَىٰ وَهَارُونَ

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٥﴾ إِنَّهُمَا مِنْ

عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ [سورة الصافات : ١٢٠ — ١٢٢]

يحيى بن زكريا أو يوحنا المعمدان :

” قال له الملاك : لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد ابنا وتسميه يوحنا .. لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس . ويرد كثيرين من بني اسرائيل إلى الرب إلههم . ويتقدم أمامه بروح ايليا — انجيل لوقا ١ : ١١ — ١٧ “ .

فلقد كان يوحنا هو الذي عمد المسيح في ماء الأردن . ” ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا . وإذا كان يصلي انفتحت

السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة .

ولما ابتدأ يسوع (دعوته) كان له نحو ثلاثين سنة — انجيل لوقا ٣ : ٢١ — ٢٢ “ .

ولقد قال عنه المسيح للجموع : ” ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبياء ؟ نعم ، أقول لكم وأفضل من نبي . فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك .

الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان — انجيل متى ١١ : ٨ — ١١ “ .

﴿ يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَيِّنْهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢
وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ١٣ ﴾
وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿

[سورة مريم : ١٢ — ١٥]

نكتفي هنا باستعراض بعض ما يقوله القرآن في المسيح وأمه العذراء الطاهرة . فبالنسبة لمريم: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٢ ﴾ يَمْرُؤُا قُنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿

[سورة آل عمران : ٤٢ — ٤٣]

وبالنسبة لحملها العذرى دون الاتصال برجل : ﴿ إِذْ قَالَتِ

الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٥ ﴾

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٦ ﴾

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ

اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٧ ﴾

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
 أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
 وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ
 فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

[سورة آل عمران : ٤٥ - ٤٩]

وفي لحظة التنفيذ :

﴿ فَأَتَّخَذْتُ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾
 فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٥٧﴾ قَالَتْ إِنِّي
 أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٥٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٥٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٦٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
 مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٦١﴾ ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
 بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٦٢﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ
 قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٦٣﴾
 فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٦٤﴾
 وَهَزَىٰ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٦٥﴾
 فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
 إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٦٦﴾

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
 فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَأْخُذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ
 أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
 الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
 نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
 جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
 وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

[سورة مريم : ١٧ - ٣٣]

وما كانت ولادة العذراء مريم أول حادثة من نوعها ، فقد سبقتها
 على الأقل حالة أخرى ذكرتها المصادر المسيحية عند الحديث عن
 تفسير النبوءة التي نقلها متى في إنجيله من سفر أشعيا والتي تقول :
 ” هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره
 الله معنا ^(١) — انجيل متى ١ : ٢٣ .

يقول المفسرون : ” هذه النبوءة مذكورة في أشعيا ٧ : ١٤ ، وقد
 أوحى بها نحو ٧٤٠ ق.م . والعبارة منقولة عن الترجمة السبعينية (وهي
 ترجمة نقلها من العبرانية إلى اليونانية بعض علماء اليهود في الاسكندرية
 بين سنة ٢٠٠ و ٣٠٠ ق.م. وهي النسخة التي غلب استعمال اليهود
 لها في أيام المسيح) .

(١) هناك قراءة أخرى أوردتها الترجمة الفرنسية المسكونية تقول أن عمانوئيل تعني :
 ” ليكون الله معنا “ أي أنها صيغة دعاء وليست جملة خبرية . إضافة إلى أن المسيح
 عندما ولد لم يسم : عمانوئيل ، حسب بشارة أشعيا ولكنه سمي يسوع ، كما سبق
 أن سمي ابن زكريا : يوحنا ، حسب البشارة التي ذكرها لوقا في ١ : ١٣ . من هذا
 يتبين أنه لا مجال للربط بين نبوءة أشعيا وولادة مريم العذراء حسب ما ذكره متى .

وظن البعض أن هذه النبوءة تمت أولاً في أيام أحاز الملك في ولادة ولد من فتاة كانت حينئذ عذراء لكنها تزوجت فيما بعد . ثم إنها تمت ثانياً بأسمى معنى بولادة المسيح . وظن آخرون أن أشعيا لم يشير إلا إلى يسوع ابن مريم . والرأي الأول هو الأرجح لأنه كثيراً ما رأينا النبوءة الواحدة تمت عدة مرات ،^(١) .

ويلاحظ أنه يوجد بين المسيحيين اليوم من لا يؤمن بولادة العذراء مريم كحادث تاريخي وقع فعلاً رغم أن العلم الحديث يؤيد هذا المبدأ . ففي عام ١٩٥٥ ألفت الدكتورة هيلين سبيرواي — استاذة علم البيولوجي بجامعة لندن — محاضرة بعنوان : ولادة العذاري ،^(٢) جاء فيها :

” إن التوالد العذري الذي تبدأ فيه البويضة بالانقسام ذاتياً ، منتجة جنيناً بسيطاً ، أو قيامها بتعويض الكروموزوم الأبوي الناقص بشكل ما من أشكال الازدواج يعتبر شيئاً نادراً جداً في الفقاريات ذات الدم الحار لكنه شيء عادي في اللافقاريات . وقد أمكن تسجيل عملية انقسام البويضة عذرياً في القط وحيوان ابن مقرض ، ثم حديثاً في بعض دجاج الرومي غير المخصب .. وبمراعاة كل تلك الاعتبارات ، علينا أن نعيد النظر في مبررات اعتقادنا بأن التوالد الذاتي في الفقاريات شيء نادر ، وأنه لا وجود له في الثدييات “^(٣) .

ولقد أثبتت التجارب أنه بتنشيط البويضة بطرق كيميائية أو طبيعية

(١) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل : تفسير انجيل متى — ص ٩ — صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى . بيروت .

(٢) انظر مجلة LANCET الطبية الانجليزية — مجلد ١٩٥٥ ، وكذلك الصحيفة

الانجليزية SUNDAY PICTORIAL, London, 6 th November, 1955 .

فإنه يمكن حدوث اخصاب وتكوين جنين كما حدث في الضفادع عندما وخزت بويضة الأنثى بدبوس فنشطت وكونت جنينا دون الحاجة إلى حيوانات منوية من الذكر .

ويتمتع المسيح في القرآن بمكانة عالية ، فقد جاء ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥]

ورسل الله وأنبياءه درجات متفاوتة ، وإن حظوا جميعا بنعمة اصطفاء الله لهم وتفضيلهم جميعا على غيرهم من سائر البشر .

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٣]

إن المسلم يعلم يقينا أن المسيح جاء رسولا من الله إلى بني اسرائيل ، وأنه كان نبيا من أفضل الأنبياء ، وهو أولا وأخيرا عبد من عباد الله المكرمين . ولهذا يؤمن المسلم بكل قول في الأسفار يضع المسيح في موضعه الصحيح هذا ولا يتعداه بأن يجعله إلها أو ابن إله . ومن أمثلة ذلك :

● شهد المسيح أنه نبي بلا كرامة في وطنه . فقد ” كانوا يعثرون به . فقال لهم يسوع ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته . ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة — انجيل مرقس ٦ : ٤ — ٥ “ .

● وحين أحيا الميت الابن الوحيد لأمه الأرملة — وهي معجزة كبرى — هتف الجميع بأنه نبي عظيم . فعندما ” تقدم ولمس النعش فوق الحاملون . فقال أيها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ

يتكلم فدفعه إلى أمه . فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام
فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه — انجيل ٧ : ١٤ “ .

● ولقد شهد تلاميذ المسيح أنه عبد الله ورسوله ولا شيء أكثر من
هذا . فها هو متى يقرر في إنجيله (١٢ : ١٧ — ٢١) أن المسيح
حين جاء ، صدقت فيه نبوءة أشعيا (الإصحاح ٤٢) التي يقول
مطلعها : ” هو ذا عبدي الذي أعضده .. وضعت روحي عليه فيخرج
الحق للأمم “ .

● وكذلك شهد بطرس ويوحنا وبقية التلاميذ أن المسيح كان عبداً
لله^(١) : ” رفعوا أصواتهم إلى الله بقلب واحد فقالوا : يا سيد ، أنت
صنعت السماء والأرض .. أنت قلت على لسان أبينا داود عبدك بوحى
الروح القدس : لماذا ضجت الأمم وسعت الشعوب إلى الباطل ؟ ..
تحالف حقاً في هذه المدينة هيرودس وبنطيوس بيلاطس والوثنيون
وشعوب اسرائيل على عبدك القدوس يسوع الذي مسحته .. “

هب لعبيدك أن يعلنوا كلمتك .. باسطا يدك ليجرى الشفاء والآيات
والأعاجيب باسم عبدك القدوس يسوع — سفر أعمال الرسل ٤ :
٢٤ — ٣٠ “ .

● وما كان المسيح في عقيدة بطرس إلا إنساناً كان الله معه —
وليس حالاً فيه كما زعم بعضهم — ومن ثمّ صنع الله بيده كل تلك
المعجزات . فذلك كان اعلان بطرس في كل مناسبة :
” أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصري
رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده
في وسطكم كما أنتم تعلمون — سفر أعمال الرسل ٢ : ٢٢ “ .

(١) العهد الجديد : منشورات دار المشرق — ١٩٨٥ — نقلاً عن الترجمة الفرنسية
المسكونية .

تلك هي عقيدة المسلم في أنبياء الله ورسله وأنهم ليسوا أكثر من عباد مكرمين .

﴿ لَا يَسْئِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿

[سورة الأنبياء : ٢٧ — ٢٨]

وهي عقيدة يجدها الباحث المحايد في اتفاق مع بعض نصوص الأسفار التي يؤمن بها اليهود والمسيحيون .

٣ — من تعاليم الحياة اليومية

تحريم لحم الخنزير :

” كلم الرب موسى وهارون قائلاً لهما .. هذه هي الحيوانات التي لا تأكلونها الخنزير .. هو نجس لكم . من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا — سفر اللاويين ١١ : ١ — ٨ “ .

وأما الذين يأكلون لحم الخنزير فلهم العذاب والهلاك : ” الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر .. الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات . وراء واحد في الوسط أكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معا ، يقول الرب . وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم — سفر أشعيا ٦٦ : ١٦ — ١٨ “ .

قال المسيح لتابعيه : ” على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه — انجيل متى ٢٣ : ٢ — ٣ “ .

هذا يعني — هنا — تحريم لحم الخنزير على المؤمنين بالمسيح .

وفي القرآن :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِأَلْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ ﴾
[سورة المائدة : ٣]

تحريم الخمر والتدديد بشاربها :

” كلم الرب هارون قائلا : خمرا ومسكرا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولك إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا . فرضا دهريا في أجيالكم . وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر ولتعليم بني اسرائيل جميع الفرائض التي كلمهم الرب بها بيد موسى — سفر اللاويين ١٠ : ٨ — ١١ “ .
” الخمر مستهزئة . المسكر عجاج . ومن يترنح بهما فليس بحكيم — سفر الأمثال ٢٠ : ١ “ .

” لمن الويل ، لمن الشقاوة ، لمن المخاصمات ، لمن الكرب ، لمن الجروح بلا سبب ، لمن ازمهرار العينين : للذين يدمنون الخمر ، الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج . لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبا بها في الكأس وساعت مرفقة . في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان — سفر الأمثال ٢٣ : ٢٩ — ٣٢ “ .

وفي الإنجيل كان من علامات الطهر والأفضلية عند الله ليحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) أنه : ” خمرا ومسكرا لا يشرب — انجيل لوقا ١ : ١٥ “ .

” الجسد يشتهي ضد الروح .. وأعمال الجسد ظاهرة التي هي : زنى ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان .. قتل ، سكر .. إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله — الرسالة إلى غلاطية ٥ : ١٧ — ٢١ “ .

وفي الإسلام لعنت الخمر ، واعتبر شربها إثماً كبيراً يقام الحد على شاربها . يقول الله في القرآن :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿ سورة المائدة

مراعاة الأدب والحياء في اللباس :

” لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس رجل ثوب امرأة ، لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك — سفر التثنية ٢٢ : ٥ “ .

” النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بصفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن — الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ٩ “ .

” كل امرأة تصلي أو تتبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه . إذ المرأة إن كانت لا تغطي فليقص شعرها — الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١١ : ٥ — ٦ “ .

” أيتها النساء : كن خاضعات لرجالكن .. ولا تكن زينتك الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب — الرسالة الأولى لبطرس ٣ : ١ — ٣ “ .

ويقول الله في القرآن مخاطباً كل الناس :

﴿ يَبْنِيْءَ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَ تَكْمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النُّفُوْى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴾ يَبْنِيْءَ ءَادَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿

[سورة الأعراف : ٢٦ - ٢٧]

﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٦﴾ قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ
الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿

[سورة الاعراف : ٣١ - ٣٣]

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ أَرْوَاحَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَّهُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ لِّمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
أَبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مَن

الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

[سورة النور : ٣٠ - ٣١]

أما بعد ..

لقد اتفقت تعاليم الأديان الثلاثة على مراعاة الحشمة في اللباس ، فما بال الدنيا وقد قامت في إحدى الدول التي ترفع شعار الحرية والاخاء والمساواة — ولم تقعد بعد — بسبب ارتداء فتاتين مسلمتين صغيرتين ، غطائين لرأسيهما ؟!

تشديد العقوبة على جريمة الزنا :

هناك اتفاق تام بين اليهودية والمسيحية والإسلام على تشديد العقوبة على جريمة الزنا وعلى كل الممارسات الجنسية الخاطئة ، مع تفاوت بينها في درجات الشدة .

ففي اليهودية : ” إذا زنى رجل مع امرأة .. فإنه يقتل الزاني والزانية .. وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا . انهما يقتلان .. وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة . بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم .

إذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها عرى ينبوعها وكشفت هي ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما — سفر اللاويين ٢٠ : ١٠ - ١٨ “ .

وفي المسيحية : شدد المسيح في معنى الزنى ، فلم يجعله قاصراً على الفعل المادي المحسوس ، بل نقله إلى التصور المعنوي فقال :

” قد سمعتم أنه قيل للقدياء لا تزنى . وأما أنا فأقول لكم : إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه . فإن كانت عينك اليمنى تعثر فأقلعها وألقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك ولا يلقى جسدك كله في جهنم . وإن كانت يدك اليمنى تعثر فأقطعها وألقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك ولا يلقى جسدك كله في جهنم — انجيل متى ٥ — ٢٧ — ٣٠ “ .

وقد حرمت المسيحية على الزناة أن يرثوا ملكوت الله ، وليس لهم بعد ذلك من قرار سوى العذاب الأبدي في جهنم . فقد جاءوا ضمن قائمة الظالمين الذين ” لا يرثون ملكوت الله .. لا زناة ، ولا عبدة أوثان .. ولا مضاجعوا ذكور .. ولا سكيرون .. يرثون ملكوت الله — (١) كورنثوس ٦ : ٩ — ١٠ “ .

وعقاب الزناة في هذه الحياة ، هو ما قرره شريعة موسى أي القتل رجما . فذلك ما قرره المسيح في قوله لمن آمن به من بني اسرائيل ولمن لم يؤمن به : ” خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون — انجيل متى ٢٣ : ١ — ٣ “ .

وأما قصة المرأة الزانية التي انفرد بها انجيل يوحنا وقال فيها : ” قدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا . ولما أقاموها في الوسط قالوا له : يا معلم ، هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل . وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترحم . فماذا تقول أنت ؟ .. قال لهم : من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر .. فلما سمعوا .. خرجوا واحدا واحدا .. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحدا سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك ؟ أما أدانك أحد . فقالت لا أحد يا سيد . فقال لها يسوع ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئي —

إن هذه القصة منحولة ولا وجود لها في أقدم نسخ انجيل يوحنا ولكنها أضيفت إليه فيما بعد . فهذا ما تقرره التراجم الحديثة . فلقد أنزلتها الترجمة الإنجليزية القياسية المراجعة (R.S.V) من المتن إلى الحاشية ، وذلك في طبعاتها الأولى . لكنها أعيدت بعد ذلك إلى المتن — إرضاء للمحتجين الذين صدموا في اعتبارها قصة مدسوسة ! — مع الإشارة في الهامش إلى أنه ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها .

وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية (T.O.B) :

” لقد وجد الجزء من ٧ : ٥٣ إلى ٨ : ١١ محذوفاً من النسخ الأقدم من إنجيل يوحنا ، كما أنه لا وجود له في العديد من التراجم ؛ كما أن النص غير متفق عليه إذ له قراءات مختلفة ، إضافة إلى أنه لا يتفق وأسلوب يوحنا . ولهذا يمكن القول بأن هذا الجزء لم يكن ضمن إنجيل يوحنا الأصلي “ .

وأهم من هذا كله أن المسيح كان قد أعلن في بدء دعوته أنه ما جاء لينقض ناموس موسى والنبيين من بعده ، وأن ” زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس — انجيل لوقا ١٦ : ١٧ “ .

ومن ثم لا يمكن أن يعطل المسيح ناموس موسى بترك المرأة الزانية بلا عقاب .

وفي الإسلام : نجد الزنا يعتبر من الكبائر ، وهي الخطايا التي تورث صاحبها الهلاك ، إلا أن يتوب . فالحق يقول :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وَالَّذِينَ

وهي حامل وقالت إني حبلى من الزنا ، فقال لها : ” ارجعي حتى تضعي ما في بطنك “ . فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت . فأتى النبي ﷺ فقال : قد وضعت الغامدية . فقال الرسول : ” إذن لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه “ .

فقال رجل من الأنصار : إني ارضاعه ، يا نبي الله . فرجمها . وجدير بالذكر أنه إذا هرب المرحوم أثناء الرجم — بناء على إقراره — فيجب إيقاف العقوبة فوراً ولا يجوز متابعتها .

ويصح الرجوع عن الإقرار قبل التنفيذ ، ويترتب على ذلك إيقاف العقوبة .

كذلك يقام الحد — سواء كان جلداً أو رجماً — بشهادة أربعة شهود عدول ، وإن يصفوا الزنى بما يؤكد وقوعه ، وليس مجرد اضطجاع رجل مع امرأة . فقد انعقد اجماع أئمة الفقه الأربعة أنه إذا جاء شاهد من الشهود وقال : ” رأيتهما ينمان في فراش واحد “ فلا تكفي شهادته لإقامة الحد . وإذا تراجع أحد الشهود عن شهادته يوقف الحد .

ومن المبادئ العامة في الإسلام ، فيما يتعلق بإقامة الحدود المقررة على الخطاة ، إنه :

١ — يجب التحرز تماماً والتأني وتلئس المعاذير والشبهات التي تجعل ضمير القاضي غير مستريح للحكم بإقامة الحد . وذلك لحديث رسول الله : ” ادروا الحدود بالشبهات “ .

٢ — من أخطأ وستره الله ، ولم يظهر خطيئته للناس ، فلا حد عليه . فليس من الإسلام تتبع عورات الناس والتجسس عليهم . فلقد قال رسول الله : « من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله . فإنه من لم يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله » .

٣ — في حالة إقامة حد الزنا ، بناء على اعتراف أحد الخاطئين —

وليس بناء على شهادة الشهود الأربعة — فلا حدّ على الطرف الثاني الذي لم يعترف بجرمه . فلقد روى أبو داود أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فأقر بأنه زنى بامرأة سماها له ، فبعث رسول الله ﷺ إلى المرأة فسألها عن ذلك ، فأنكرت ، فجلده وتركها .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ

ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧) ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ

سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴾ (١٨) ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ

عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٢٨)

[سورة النساء ١٧ ، ١٨ ، ٢٨] .

٤ — البعث والجزاء في الآخرة

لا تظهر عقيدة البعث والجزاء في الآخرة — أو يوم الحساب — في اليهودية كعقيدة مجددة المعالم . فقد سقطت من أسفار موسى الخمسة وما تلاها من أسفار . ولم تبدأ الإشارة إليها إلا بعد موسى بأكثر من خمسة قرون ، كما نجده في مثل هذه الأقوال :

” يفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتشر كانتشار الورق من الكرمة — سفر أشعيا ٣٤ : ٤ “ .

” كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون : هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي — سفر دانيال ١٢ : ٢ “ .

ولقد استمرت عقيدة انكار البعث والحساب سائدة بين قطاعات كبيرة من بني اسرائيل حتى أنه بعد أن جاء المسيح بعد موسى بنحو ٤٩

ثلاثة عشر قرناً من الزمان ، كان من خصومه الأقوياء طائفة تسمى
الصدّوقيون ، يصفهم الإنجيل بقوله : ” الذين يقولون ليس قيامة —
انجيل متى ٢٢ : ٢٣ “ . ويقول فيهم سفر أعمال الرسل أن :
” الصدّوقيين يقولون أنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفرّيسيون
فيقرون بكل ذلك — ٢٣ : ٨ “ .

* *

ولما جاء المسيح فإنه أكد على عقيدة البعث والحساب — التي كان
يؤمن بها قدماء المصريين وسجلوا ذلك باهراماتهم — قبل مولد اسرائيل
بأكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان .

ولقد بين المسيح أنه في الآخرة سيمضي الناس فريقين :
” هؤلاء إلى عذاب أبدي ، والأبرار إلى حياة أبدية — انجيل متى
٣٥ : ٤٦ “ .

ثم ذكر المسيح شيئاً من عذاب الآخرة فقال : ” ان اعثرتك يدك
فاقطعها ، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي
إلى جهنم ، إلى النار التي لا تطفأ . حيث دودهم لا يموت والنار لا
تطفأ .. وإن أعثرتك عينك فأقلعهما . خير لك أن تدخل ملكوت الله
أعور من تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار . حيث دودهم لا
يموت والنار لا تطفأ — انجيل مرقس ٩ : ٤٣ — ٤٨ “ .

وكذلك ذكر المسيح شيئاً من نعيم الآخرة فبين أن فيها خمرًا وطعاماً
وشراباً ومنازل وأهلاً أضعاف ما كان في الدنيا : فقد قال لتلاميذه في
العشاء الأخير بعد أن : ” أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشرّبوا منها
كلهم . وقال لهم : الحق أقول لكم إنني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة
إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله — انجيل مرقس ١٤ :
٢٣ — ٢٥ “ .

ولقد وعد المسيح الذين اتبعوه وتحملوا المشاق والآلام من أجله أن تكون لهم في الآخرة مئة ضعف من البيوت والنساء والأولاد وغيره . فقد قال له بطرس : ” ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم .. كل من ترك بيوتا أو أخوة أو أخوات أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي . يأخذ مئة ضعف ويورث الحياة الأبدية — انجيل متى ١٩ : ٢٧ — ٢٩ “ .

وقال المسيح أن في الآخرة : ” منازل كثيرة ، وإلا فإنني كنت قد قلت لكم أنا أمضي لأعد لكم مكانا — انجيل يوحنا ١٤ : ٢ “ .

وقال لتلاميذه أيضا في العشاء الأخير : ” أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي أنا أجعل لكم ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي ، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر — انجيل لوقا ٢٢ : ١٨ — ٣٠ “ .

وفي القرآن نجده يضرب مثل الجنة ومثل النار بما عرفه الناس في الدنيا فيقول :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ

الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾

[سورة محمد : ١٥]

﴿ يَلْعَبَادٍ لَا خَوْفٍ

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿١٢﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ

وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾
 إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
 فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
 وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْهِ تَارُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَعَكُونُ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
 جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾

[سورة الزخرف : ٦٨ — ٧٨]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ [سورة الكهف : ١٠٧ — ١٠٨]

[سورة ق : ٣٥]

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

الفصل الثالث

موجز لنقاط الاختلاف بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

□ الإله

□ الأنبياء

□ قضية صلب المسيح

□ تحريف نصوص الأسفار

□ نبوة محمد

موجز لنقاط الاختلاف بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى

١ - الإله

يرفض المسلم كل قول ينسب لله تجسيدا أو تشبيها أو حلولاً في أشياء وما إلى ذلك من أوهام وضلالات ، كما يرفض كل حديث يصور الله وقد لحقت به عواطف الإنسان وانفعالاته وضعفه ، فكل ذلك باطل الأباطيل .

إن القاعدة الأصلية التي يقوم عليه فكر المسلم في الإله الحق أنه واحد أحد صمد : ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [سورة الإخلاص : ١] ، وأنه ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [سورة الشورى : ١١] ، وأنه ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] ، و ﴿ أن الله على كل شيء قدير ﴾ [سورة البقرة : ١٠٦] ، ﴿ وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [سورة الروم : ٢٧] .

وفيما يلي بعض ما يرفضه الفكر الإسلامي مما نجده في الأسفار خاصاً بهذا الموضوع الخطير ، بل إنه أخطر موضوعات العقيدة على الإطلاق .

الراحة بعد خلق السموات والأرض :

تقول الأسفار : ” فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقده لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا — سفر التكوين ٢ : ٢ — ٣ “ .

ولقد صحح الله هذا المفهوم في القرآن فقال ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (٢٨)

[سورة ق : ٢٨] . وفي صيغة استفهام استنكاري نقرأ قول الحق : ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة ق : ١٥]

الندم على خلق الإنسان وغيره !

” ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنني حزن أني عملتهم — سفر التكوين ٦ : ٥ — ٧ “ .

لكن القرآن يصحح المفاهيم حول كل عمليات الخلق فيقول :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾ (٢٨) ﴿ سَاخَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الدخان]

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [سورة القمر : ٤٩]

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ [سورة السجدة : ٧]

﴿يَذَرُ الْأَمْرَ فَيَصِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢١)

[سورة الرعد : ٢]

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣)

[سورة الأنعام : ٧٣]

بليلة السنة البشر ليتفرقوا فلا يتقدموا في الحياة !

” وكانت الأرض كلها لسانا واحد .. وقال بعضهم لبعض هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسما .. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب : هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداءهم العمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة . لذلك دعى اسمها بابل . لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض — سفر التكوين ١١ : ١ — ٩ “ .

لكن القرآن يعلم الناس جميعا أن اختلاف ألسنتهم كاختلاف ألوانهم ، إنما هو آية دالة على قدرة الله وبديع صنعه :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَلْسِنَ كُمْ وَاللَّوْنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَلَمِينَ﴾ (٢٢)

[سورة الروم : ٢٢]

ويعلمنا القرآن أن الله يرضى عن تقدم الإنسان في هذه الحياة ، إذ يقول :

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا مَنَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الجاثية : ١٣]

مصارعة إنسان والعجز عن التغلب عليه !

إنها حقا تصدم كل مسلم حين يقرأ هذا العنوان الفرعي في الأسفار :

يعقوب يصارع الله^(١) !

تقول هذه الأسطورة : ” بقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه .. وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال (يعقوب) لا أطلقك إن لم تباركني . فقال ما اسمك ؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . .

فدعا يعقوب اسم المكان فنثيل قائلا لأنني نظرت الله وجهها لوجه ونجيب بنفسي — سفر التكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٠ . “

ونجد في القرآن ما يعزينا عن مثل تلك الأوهام ومثيلاتها كثير ، حين نقرأ قول الحق :

﴿ مَا كَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ كَدَرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج : ٧٤]

الحلول في الإنسان :

تلك عقيدة مستقاة من أساطير الأقدمين هنودا ومصريين وأغريق وغيرهم ، حيث تصوروا أن آلهتهم تحل في الانسان بل وفي الحيوان والطير ، ولهذا عبدوا تلك المخلوقات وسجلوا ضلالاتهم هذه على معابدهم وآثارهم .

وها هو كاتب انجيل يوحنا ينفرد — دون غيره من كتبة الأناجيل — بتقرير أن الله قد حل في المسيح ، إذ ينسب إليه هذا القول : ” الآب الحال في هو يعمل الأعمال . صدقوني اني في الآب والآب في — انجيل يوحنا ١٤ : ١٠ — ١١ . “

وفكرة الحلول هذه التي تسربت إلى الإنجيل الرابع قد جاءت من

(١) تقول الترجمة الفرنسية المسكونية ! Jacob Lutte avec Dieu .

رسائل بولس الهلينيستي التي كتبت قبله بأكثر من خمسين عاما . فقد كتب يقول عن المسيح : ” فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا — الرسالة إلى كولوسي ٢ : ٩ “ .

إن القول بأن المسيح إله أو ابن إله وأنه الأقنوم الثاني من الثالوث^(١) أو أن الله قد حل فيه ، كل ذلك قد تسرب إلى المسيحية من الديانات البشرية القديمة . لقد وصف القرآن الذين يعتنقون مثل هذه الأفكار بأنهم يحاكون ما كان عليه قدامى الكافرين ، وذلك في قوله :

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكُمْ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة التوبة : ٣٠]

يقول أدولف أرمان في كتابه : ” ديانة مصر القديمة “ ، عند الحديث عن معتقدات المصريين القدماء : ” اعتقد المصري أن روح الإله تسكن الحيوان المقدس في معبده . وقد أعطى هذا الاعتقاد رجال الدين المتفقهين فيه فرصة طيبة لكي يضموا في تعاليمهم هذه الحيوانات المقدسة ، فتمتعت العجول والطيوس والبقر والصقور والتماسيح والثعابين بقداسة لاشك فيها .. وانتهى الأمر بهم أنهم لم يكتفوا بجعل روح واحدة لكل إله ، بل زادوا العدد . فمثلا رع كانت له سبعة أرواح .

ولما كان الملك في اعتقادهم ذا صفات إلهية ، لذلك وجب أن يكون له أرواح كثيرة .. ويكفي أن نختم هذه الكلمة بحقيقة أخرى وهي أن الإله يمكن أن يكون بمثابة روح لإله آخر . فمثلا آمون كان روح شو أو روح أوزوريس ، وعندما عانق أوزوريس إله منديس الممثل على شكل التيس تكون من هذا العناق روحا مزدوجة ص ١١٢ — ١١٣ “ .

إن الإسلام حازم وواضح تماما في كل ما يتعلق بألوهية المسيح

(١) راجع الملحق رقم (١) في نهاية الكتاب .

فالقُرآن يقول :

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْعَبْدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ۝۵۹ ﴾

[سورة الزخرف : ٥٩]

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝۸۱ ﴾

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
۝۸۲ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۖ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۖ ۝۸۳ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝۸۴

[سورة مريم : ٨٨ — ٩٥]

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عِبْدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝۷۲
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ
إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ۝۷۳ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝۷۴

[سورة المائدة : ٧٢ — ٧٤]

إن المسيح ليتبرأ من كل من يحاول الخلط بينه وبين الله أو ينسب
له ألوهية على أي صورة من الصور . فلا يزال قوله الحق في الأناجيل

واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار وغير محتاج إلى شرح المفسرين وتأويل المتفقيهم :

” وفيما هو خارج إلى الطريق ركض له واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟
فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ؟! ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله — أناجيل : مرقس ١٠ : ١٧ — ١٨ ، متى ١٩ : ١٦ — ١٧ ، لوقا ١٨ : ١٨ — ١٩ “ .

لقد أجمعت الأناجيل الثلاثة — التي لا تعرف شيئاً عن الزعم بحلول الله في المسيح — على هذه الحقيقة الأساسية التي هي المفتاح لحل الخلافات العقائدية بين المسيحيين أنفسهم وبين المسلمين . لقد كان ما قرره المسيح هنا متفقاً تماماً مع ما يقرره القرآن في آيات كثيرة من أبرزها :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة النحل : ٦٠]
﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم : ٢٧]

٢ — الأنبياء

إن المسلم ليرفض كل ما ألحق بسير الأنبياء من نقائص ومخازى فهم عباد الله المصطفون الأخيار ، جعلهم الله هداة للبشرية وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر . فالقرآن يقول فيهم :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبْتِنَا إِذْ أَنَا نُنَالِي عَلَيْهِمْ

[سورة مريم : ٥٨]

عَآيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوْا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴾

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدِ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠]

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ۝ ٧٣ ﴾

[سورة الأنبياء : ٧٣]

تلك هي عقيدة المسلم في أنبياء الله ومن ثم فهو ينكر بل ويستنكر كل الخطايا والسقطات التي نقرأها عنهم في الأسفار . ومن أمثلة ذلك ما يقال عن : زانا لوط بابتتيه (سفر التكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨) : وكان من ثمرته ابنا الزنا موآب وعمون . ومن ذرية أولهما جاء داود ! خيانة موسى وهارون لله : وكان ذلك الاتهام الخطير هو اخر وحي تلقاه موسى قبل موته . فقد كلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلا . اصعد إلى جبل عباريم .. وانظر أرض كنعان ... ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات أخوك هارون في جبل هور وضم إلى قومه . لأنكما ختمانني في وسط بني اسرائيل .. إذ لم تقدساني في وسط بني اسرائيل — سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ — ٥١ .

لكن القرآن يرى موسى وهارون من هذه الخيانة وأمثالها فيقول :

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ ٥١
وَنَذَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ ٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ
رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ ٥٣ ﴾

[سورة مريم : ٥١ — ٥٣]

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى
وَهَارُونَ ۝ ١١٤ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ ١١٥
وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ ١١٦ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ
الْمُسْتَبِينَ ۝ ١١٧ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ١١٨ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ ١١٩ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ

﴿ ١٣٠ ﴾ إِنَّكَ ذَٰلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٣١ ﴾ إِنَّهُمَا مِنْ

عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [سورة الصافات : ١١٤ — ١٢٢]

زنا داود بامرأة عبده أوريا الحثي ثم تأمره عليه وقتله (سفر صموئيل الثاني ١١ : ١ — ٢٧) .

ويكفي أن نقرأ ما يقوله القرآن في شأن داود حتى نقول كما علمنا القرآن في مواجهة مثل تلك التهم الخطيرة أن نقول :

﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾

[سورة النور : ١٦]

فالقرآن يقول في داود : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ

وَأَيَّدْنَا دَاوُدَ وَزَبُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٥]

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا

يَجِبَالُ أَوَّيٍّ مَعَهُ، وَالطَّيْرُ وَالنَّالَةُ الْحَدِيدُ ﴾ أَنْ أَعْمَلْ

سَبْعَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صِلْحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿ ١١ ﴾ وَلَسْلَيْمَنَ الرِّيحِ غَدُوًّا شَهْرٍ وَوَحْشًا شَهْرٍ

وَأَسْلَمْنَا الْمُعِينَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ

رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿ ١٢ ﴾

يَعْمَلُونَ لَهُ، مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ

وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي

الشُّكُورُ ﴿

[سورة سبأ : ١٠ — ١٣]

كفر سليمان في آواخر أيامه :

تقول الأسفار : " وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت

فرعون : موآيات وعمونيات وأدوميات .. من الأمم الذين قال عنهم

الرب لبني اسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم .. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السرارى فأملت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب .. فذهب سليمان وراء عشتورت الإلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم .. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويدبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان — سفر الملوك الأول ١١ : ١ — ٩ “ .

لكن القرآن يذكر سليمان بالخير ويبرئه تماما من تهمة الكفر هذه :

﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدَانِ هَؤُلَاءِ ﴾

[سورة ص الآية : ٣٠] .

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٠٢] .

أنبياء بني اسرائيل قبل المسيح كانوا لصوصا !

إن هذا ما ينسبه إنجيل يوحنا إلى المسيح حين يقول : ” قال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم أنني أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص .. أنا هو الراعي الصالح — ١٠ : ٧ — ١١ “ .

أما بعد .. إن هذا قليل من كثير مما يصدم المسلم حين يقرأ سير
النبيين في الأسفار .

٣ — قضية صلب المسيح

يختلف الإسلام مع النصرانية في قضية أساسية من قضايا الإيمان في
عقائد المسيحيين ، وهي القول بأن المسيح انتهت حياته بالصلب ، وأن
ذلك كان ضرورة للتكفير عن خطايا البشر حسب نظرية بولس .

إن القرآن يقرر بوضوح عدم صلب المسيح ، وأن الله نجاه من
محاولات اليهود قتله ، بأن رفعه إليه كما سبق أن رفع أنبياء وأبرار .
وإن الأمر كان فتنة اختلطت فيها حقيقة الأمر على كثير من الناس .
فالقرآن يقول :

﴿ وَمَا قُلُّوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّنِّ
وَمَا قُلُّوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١٥٧ — ١٥٨ .

ويكفي أن نرجع إلى الأسفار في هذه القضية لنعلم منها الآتي :

(١) حين شعر المسيح بالخطر يتهدده وهو في الحديقة كانت صلاه
حارة إلى الله كي ينجيه من الموت . فقد ” بدأ يدهش ويكتئب .
فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت . ثم تقدم قليلا وخر على
الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال يا أبا
الآب كل شيء مستطاع لك فأجزعني هذه الكأس ولكن ليكن
لا ما أريد بل ما تريد أنت ..

وظهر له ملاك من السماء يقويه . وإذ كان في جهاد كان يصلي
بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض — انجيل
مرقس ١٤ : ٣٣ — ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ — ٤٤ . “

(٢) حين جاءت قوة الظلم وتقدم يهوذا الخائن ليدلهم على سيده ،
” قال له يسوع : يا صاحب ، لماذا جئت ؟! — انجيل متى
٢٦ : ٥٠ “ .

(٣) وفي المحاكمة ” اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة
وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت أنت المسيح فقل لنا .
فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون . وإن سألت لا تجيبوني ولا
تطلقوني — انجيل لوقا ٢٢ : ٦٦ — ٦٨ “ .

وهنا وقفة : لنفرض جدلاً أنه كان المسيح ، فإن هذا يعني أنه كان
يرجو إطلاق سراحه . وهذا ينفي ما نقرأه في رسائل بولس وما
اقتبس منها في الأناجيل مثل القول بأن المسيح : ” بذل نفسه
لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الشرير “ أو أنه ” بذل نفسه فدية
لأجل الجميع “ .

ومعنى ذلك أنه لو كان المسيح قد قتل حقاً ، لكان ذلك رغماً
عنه . وبهذا تتعاضد خطيئة البشرية التي قتلته ظلماً وقهراً . ومن
يُكفر عن تلك الخطيئة العظمى بعد ذلك ؟!

وإذا افترضنا أنه ليس المسيح فإن هذا ما يفيد المضمون ، خاصة
إذا علمنا أن الفقرة التالية لهذا هي قول ذلك الذي يستجوبونه :
” منذ الآن يكون ابن الانسان (المسيح) جالسا عن يمين قوة
الله — انجيل لوقا ٢٢ : ٦٩ “ .

وهذا يقطع بأن الشخص الذي قبضوا عليه وحاكموه وصلبوه إنما
كان شخصا آخر غير المسيح ، وأنه رآه بعيني رأسه وقد صعد
إلى السماء ، ولهذا قال : ” منذ الآن “ .

(٤) ولقد كانت آخر صرخة للمصلوب هي قوله : ” الوى ، الوى ،
لما شبقنتني ؟!

الذي تفسيره : إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني — إنجيل مرقس ١٥ :
٣٤ .

لكن المسيح قرر في الإنجيل أن الله معه ولن يتركه أبداً . وهذا
ما يعتقد كل المؤمنين . فهو يقول : ” الذي أرسلني هو معي
ولم يتركني الآب وحدي لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه —
إنجيل يوحنا ٨ : ٢٩ .

فمن المؤكد أن الذي أطلق صرخة اليأس تلك على الصليب إنما
كان شخصاً آخر غير المسيح الذي أكد أن الله معه في كل حين .

(٥) لقد تنبأ المسيح بنجاته من القتل — كما تنبأت المزامير كثيرا
وكثيرا — فلا يزال بين أيدينا ما قاله المسيح في تحد لليهود حين
حاولوا اصطياده في إحدى المرات . ” فقد أرسل الفريسيون
ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا
يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذي أرسلني . ستطلبونني ولا تجدونني ،
حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا — إنجيل يوحنا ٧ : ٣٢ —
٣٤ .

لا نظن أحداً يشك في وضوح هذا القول الذي يعني أن اليهود
حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدهوه لأن الله سيحفظه بالرفع .
ومن الطبيعي أن يقال أن السماء مكان يعجز اليهود عن الوصول
إليه تعقبا للمسيح .

(٦) هذا ولقد اختلفت الأناجيل الأربعة في عناصر قصة الصلب ويكفي
أن نذكر أن العشاء الأخير كان حسب الثلاثة الأولى : متى ومرقس
ولوقا هو عشاء الفصح ، وأما الإنجيل الرابع فقد جعله قبل الفصح

بأيام . وقد ترتب على هذا أن كان يوم الصلب حسب الثلاثة يوم الجمعة ، بينما هو حسب إنجيل يوحنا يوم الخميس — اليوم الذي ذبحت فيه خراف الفصح (إنجيل يوحنا ١٨ : ٢٨ ، ١٩ : ١٤) .

ولما كانت المقبرة التي وضع فيها جسد المصلوب قد وجدتتها مريم المجدلية خالية صباح الأحد ، فإن هذا يعني أن جسد ذلك المصلوب لم يدفن في الأرض ” ثلاثة أيام وثلاث ليال ” حسبما هو شائع في الأناجيل : متى ١٢ : ٤٠ ، ١٧ : ٢٣ — مرقس ٩ : ٣١ — لوقا ٩ : ٢٢ . فالفترة بين يوم الجمعة يوم الصلب ، ويوم الأحد يوم القيامة لا تزيد عن : يوم واحد وليتين .

أما بعد .. إن هذا قليل من كثير مما يبرهن على عدم صلب المسيح^(١) .

٤ — تحريف نصوص الأسفار

يعتقد المسلمون أن أسفار أهل الكتاب قد تعرض بعضها للفقد والنسيان ، كما تعرض البعض الآخر لتحريف وتبديل باعد بين النص الحديث والأصل القديم . يقول القرآن في شأن اليهود :

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ .

[سورة المائدة الآية : ١٣]

ويقول في شأن النصارى :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ

عَسَوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٤]

(١) راجع الملاحق أرقام : (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) بنهاية الكتاب .

ويقول في بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٧٨]

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .

[سورة البقرة الآية : ٧٨ — ٧٩]

والآن ماذا تقول الكنيسة وعلماء الكتاب المقدس في هذا الموضوع
الحيوى الخطير ؟

(١) أعلن مجمع الفاتيكان الأول (٦٩ — ١٨٧٠) أن الكتب القانونية
التي يشتمل عليها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد :
” كتبت بالهام من الروح القدس ، مؤلفها الله ، وأعطيت هكذا
للكنيسة “ .

(٢) وبعد نحو ٩٠ عاما عقد مجمع الفاتيكان الثانى (٦٢ —
١٩٦٥) . وقد أدرجت فى الوثيقة المسكونية الرابعة فقرة عن
التنزيل تختص بالعهد القديم ، تقول : ” تسمح أسفار العهد
القديم لكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن
معرفة الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان .

غير أن هذه الكتب تحتوى على نقائص وأباطيل ، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم الهى “ .

(٣) تقول الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس (T.O.B.) فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد القديم تحت عنوان :

Corruptions Textuelles

افساد النصوص :

” لاشك .. أن هنالك عددا من النصوص المشوهة التي تفصل النص المسورى الأول عن النص الأسمى . فمثلا ، تقفز عين الناسخ من كلمة إلى تشبهها . وترد بعد بضعة أسطر ، مهمة كل ما يفصل بينهما . كما أن تكون هناك أحرف كتبت كتابة رديئة فلا يحسن الناسخ قراءتها فيخلط بينها وبين غيرها .

وقد يدخل الناسخ في النص الذي ينقله ، لكن في مكان خاطيء ، تعليقا هامشيا يحتوى على قراءة مختلفة أو على شرح ما . والجدير بالذكر أن بعض النساخ الاتقياء أقدموا ، بادخال تصحيحات لاهوتية ، على تحسين بعض التعبيرات التي كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدى خطر “ (١) .

(٤) كذلك تقول الترجمة الفرنسية المسكونية فيما يتعلق بنصوص أسفار العهد الجديد :

” إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ، مهما بذل فيها من الجهد ، بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه .

يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانا ، عن حسن نية ،

(١) نقلا عن : كتب الشريعة الخمسة — ص ٦٦ — دار المشرق — بيروت ، وذلك مع مراجعتها على النص الفرنسى .

أن يصوبوا ما جاء في مثالهم وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة ،
أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي ، وهكذا ادخلوا إلى النص قراءات
جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم
بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد
الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من
القراءات ..

هدف أصحاب النقد الباطني أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل
الذي قام به الناسخ والأسباب التي دعت إلى ذلك التدخل ، فيسهل
بعد ذلك الارتقاء إلى القراءة القديمة التي تفرعت منها سائر
الروايات المحرفة ..

ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه “ (١) .

ان هذا يكفي للحديث عن تحريف بعض نصوص الأسفار (٢)

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ

لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق الآية : ٣٧]

٥ - نبوة محمد

يختلف أهل الكتاب — يهودا ومسيحيين — مع المسلمين حول نبوة
محمد . فكما ينكر اليهود إلى اليوم نبوة المسيح الذي ولد منذ ما يقرب
من ألفي عام ، تتكرر نفس المواقف حيث تنكر كلا الطائفتين نبوة

(١) نقلا عن : العهد الجديد : ص ٧ — ١٠ — منشورات دار المشرق —

بيروت .

(٢) راجع كتاب المؤلف : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس .

محمد الذي قام يدعو إلى الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان .

ولننظر ماذا تقول الأسفار في هذا الموضوع .

المعيار الذي تقرره التوراة لصدق النبوة :

شرطان لا بد منهما للحكم على صدق النبوة : الأول — أن يدعو النبي إلى عبادة الله الواحد الأحد . والثاني — أن تتحقق تنبؤات ذلك النبي فيما يتعلق بأحداث المستقبل .

وفي كل ذلك ليس للآيات والأعاجيب أى اعتبار إذا كان هناك نبي يدعو إلى غير توحيد الله ، فهو فى تلك الحال نبي كذاب جزاؤه القتل على رؤوس الاشهاد .

فبالنسبة للشرط الأول ، قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل :
” إذا قام فى وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو اعجوبة .
ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى .. فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب الهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب الهكم . وإياه تعبدون وبه تلتصقون .

وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيف من وراء الرب الهكم — سفر التثنية ١٣ : ١ — ٥ “ .

وبالنسبة للشرط الثانى : قال الرب لموسى ولبنى إسرائيل :
” وان قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب .
فما تكلم به النبي باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه — سفر التثنية ١٨ : ٢١ — ٢٢ “ .

ذلك هو المعيار العام للحكم على صدق النبوة . وبتطبيق ذلك على نبوة محمد بن عبد الله نجد تحقق هذين الشرطين بكل بساطة ووضوح .

فالإسلام الذى دعا إليه محمد بن عبد الله قام أساسا على التوحيد الخالص وأنه لا إله إلا الله . فتلك هى خاصيته الأساسية التى يعرف بها بين الجميع .

وبالنسبة لصدق تنبؤات المستقبل ، فذلك شئء حفل به القرآن . ويكفيها فى هذا المجال أن نذكر نبوءة واحدة تتعلق بصراع القوى الكبرى فى عصر محمد ، الا وهو التنبؤ بانتصار الروم على الفرس رغم مالحق بهم من هزائم متوالية . ولقد جاء ذلك فى سورة تعرف باسم سورة الروم .

يقول المؤرخ الانجليزى ستيفن رنسيمن : ” فى ربيع سنة ٦١٤ دخل فلسطين القائد الفارسى شهر باراز فصار ينهب الأراضى ويحرق الكنائس أينما سار .. وفى ١٥ أبريل سنة ٦١٤ اقتحم بيت المقدس واستعد البطريك زكريا لتسليم المدينة ليتجنب سفك الدماء غير أن السكان المسيحيين رفضوا الاستكانة إلى التسليم . وفى ٥ مايو سنة ٦١٤ وبفضل مساعدة اليهود المقيمين داخل المدينة شق الفرس طريقهم إلى داخل المدينة فتلى ذلك من المناظر المريعة مايجل عن الوصف .. وزحف الفرس على مصر بعد ثلاث سنوات (٦١٧) وأضحوا سادتها خلال سنة واحدة ، وفى تلك الأثناء تقدمت جيوشهم شمالا حتى بلغت البوسفور . على أن سقوط بيت المقدس فى أيدي الفرس كان صدمة عنيفة للعالم المسيحى ، وما قام به اليهود من دور لم يجر نسيانه أو اغتفاره ، فاتخذت الحرب مع الفرس صفة الحرب المقدسة .

فلما صار هرقل آخر الأمر سنة ٦٢٢ قادرا على أن يتخذ خطة الهجوم على العدو نذر نفسه وجيشه لله . واستطاع هرقل آخر الأمر برغم

ما جرى من تقلبات عديدة فى الأحداث وما اشتد من القلق واليأس فى أوقات عديدة ، أن ينزل الهزيمة الساحقة بالفرس “ (١) .

لقد حزن المسلمون لهزائم الروم لما شعروا به نحوهم من روابط القربى فى الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبين ، على حين فرح مشركوا مكة وما حولها بانتصار الفرس .

يقول المستشرق كارل بروكلمان : « هلل المكيون لهذه الانتصارات الفارسية ولكن محمدا أعلن اتباعه أن الهزيمة لا بد أن تحل بالفرس فى وقت قريب » (٢) .

لقد استمرت الامور تسير بعد نزول آية النبوة هذه فى غير صالح الروم ، إذ استولى الفرس على مصر كما هددوا القسطنطينية قلب الأمبراطورية . ولكن ما أن جاء عام ٦٢٢ حتى بدأ الموقف يتحول لصالح الروم . واتخذ هرقل خطة مهاجمة الفرس فقام بثلاث حملات باهرة فى الاقليم الواقع من خلف جبال القوقاز .

« ثم لم يلبث أن انتزع من كسرى ثمرات النصر الذى تم له وتعقبه حتى عاصمة ملكه ..

ومن ذلك الحين والامبراطورية الساسانية (الفارسية) تسير قدما نحو مصيرها النهائى المحتوم إلى الدمار » (٣) .

لقد انتهت هزائم الروم أمام الفرس وبدأت انتصارها ولما يمضى على نزول آية النبوة هذه بضع سنين ، وهو العدد أقل من عشرة .

(١) تاريخ الحروب الصليبية — ج١ : ص ٢٤ — ٢٧ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية — ص ٩٠ .

(٣) موسوعة تاريخ العالم — ج ٢ — ص ٤٧٨ .

التبؤ بحفظ النبي من محاولات قتله

نزلت آية هذه النبوة تقول ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة المائدة الآية : ٦٧]

لقد قالت عائشة رضی الله عنها : كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ، فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال : أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمنا الله عز وجل .
لقد اكتملت رسالة النبي في حياته ، ومات ميتة طبيعية على فراشه بين أهله وصحابته ، فتحققت بذلك نبوءة القرآن تماما .
ذلك بعض ما يقال حين نأخذ ما تقوله التوراة معيارا للحكم على صدق النبوة . والآن نتقل للحديث عن ملامح وصفات النبي المرتقب الذي بشرت به الأسفار .

● من توراة موسى :

هو نبي مثل موسى يجعل الله كلامه في فمه ، فلا ينطق عن الهوى (سفر التثنية ١٨ : ١٨) .

وبمقارنة الخطوط العامة لحياة موسى ومحمد نجد الآتي :
كلاهما : ولد ومات ميتة طبيعية — وتزوج وأنجب ذرية — وعدد زوجاته وتعرض لنقد بسبب ذلك — وجاء بشريعة طبقت في عهده — وقاد أمته في حروب ضد الكفار .

● من المزامير :

« تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار .. اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف .. شعوب تحتك يسقطون .. بنات ملوك بين حظياتك — المزمور ٤٥ » .

ولقد تحقق هذا في محمد رسول الله ﷺ وحروبه ضد الكفار والمشركين .

● من سفر أشعيا :

— يشتهر بأنه عبد الله ورسوله : « هو ذا عبدى الذى اعضده . مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » .
— يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده : « لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » .

— يعصمه الله من الناس : « امسك بيدك واحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم » .

— يأتي من الصحراء (البرية) وينتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم : « لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قidar » . وقيدار هذا هو الابن الثانى لاسماعيل (سفر التكوين ٢٥ : ١٣) .

— الشعب الذى ظهر فيه وانتصر عليه كان من عباد الاوثان : « يخزى خزيا المتكلمون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا » .
— رجل حرب مقدم ينتصر على أعدائه : “ كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه “ .

— فى مناسك دينه هتاف وتسبيح من رؤوس الجبال : « من رؤوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر “ .
وهذا يحدث فى موسم الحج حيث أهم مناسكه الوقوف بجبل عرفات .

● المعزى روح الحق :

تحدث المسيح عن رسول آت بعده سماه المعزى روح الحق وذلك فى اصحاحات ثلاث أرقامها ١٤ ، ١٥ ، ١٦ . وكان مما قاله :

” أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق . لأنه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى .. ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . وأما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى ..

ان لى أموراً كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمر آتية — انجيل يوحنا ١٦ : ٧ — ١٣ “ .

ومن هنا يتضح عدة أمور منها :

— ان المسيح وروح الحق لا يجتمعان فى وقت واحد ، وأن الثانى لا يأتى إلا بعد رحيل الأول .

— وأن روح الحق كائن مستقل لا يتكلم من نفسه ، انما ينقل إلى الناس الحق الذي يسمعه .

— وأنه سوف يتنبأ بأمر آتية فيما بعد .

ولما كان يوحنا كاتب هذا الكلام فى انجيله قد بين فى رسالته الأولى أن روح الحق إنسان مؤمن (٤ : ٦) ، ولما كانت حاشية الترجمة الفرنسية المسكونية قد ذكرت أن روح الحق الذي تكلم عنه يوحنا فى انجيله (١٤ : ١٧) هو ذاته الذي تكلم عنه فى رسالته الأولى ، ولما كان الروح القدس قد لازم المسيح منذ عمّده يوحنا ” واستقر عليه — انجيل يوحنا ١ : ٣٢ “ — من كل ماسبق يتبين أن روح الحق غير الروح القدس .

وإذا كان كاتب هذا الانجيل قد ذكر روح الحق ثلاث مرات (فى ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ١٣) ، بينما ذكر الروح القدس مرة واحدة (فى ١٤ : ٢٦) فإن هذا يعتبر خطأً تسرب إلى النسخ المتداولة من هذا الانجيل .

ويؤكد ذلك أن هناك مخطوطة سريانية شهيرة اكتشفها اجنيس لويس عام ١٨١٢ فى دير سيناء ، كتبت فى القرن الرابع أو الخامس ، وهى تذكر الروح فقط وليس الروح القدس .

مما سبق جميعه يتبين أن روح الحق الذي تحدث عنه المسيح إنما هو إنسان رسول يأتي بعده ، ويكت العالم على أنه لم يؤمن بالمسيح الإيمان الحق ، أى أنه عبد الله ورسوله . وأن هذا الرسول المرتقب ليس إلا النبى الذي كان ينتظره بنو إسرائيل كأحد المنتظرين الثلاثة على أيام يوحنا المعمدان (يوحنا ١ : ٢١) .

وأخيرا فإن هذا النبى المرتقب سوف يخبر ببعض أحداث المستقبل . ولقد عرضنا سلفا بعض تنبوءات محمد رسول الله ، المسجلة فى القرآن ، وقد تحققت فى عالم الواقع ، ولاشك أن الواقع هو خير برهان .

وإذا كان المسيح قد قال أنه سيقى فى الناس إلى الأبد ، فإن هذا يتمشى مع لغة الأسفار التى عندما تتحدث أحيانا عن رسل الله إلى الناس ، فإنها تعنى كتب الله التى جاء بها هؤلاء الرسل إلى الناس . وهذا ما تبينه قصة ” الغنى ولعازر ” التى ذكرها انجيل لوقا (١٦ : ١٩ — ٣١) ، إذ عندما قال الغنى لأبينا إبراهيم : ” أسألك إذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى لأن لى خمسة أخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتواهم أيضا إلى موضع العذاب هذا . قال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء “ .

فالمقصود بهذه العبارة : عندهم موسى وكتب الأنبياء . وعلى ذلك يكون المقصود من قول المسيح أن روح الحق سيكون ” معزيا آخر ليملك معكم إلى الأبد ١٤ — ١٦ “ ، هو ان الكتاب الذي سيأتى به ذلك الرسول الذي يعقب المسيح سيقى محفوظا إلى الأبد . وهذا لا يتأتى إلا إذا تكفل الله — سبحانه — بحفظه . فلقد أثبت الواقع

ان كثيرا ممن استحفظوا على كتب الله السابقة كانوا دون المستوى المطلوب .

ولهذا قال الله في القرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[سورة الحجر الآية : ٩]

﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

[سورة فصلت الآية : ٤١ — ٤٢]

هذا ولعل خير ما نختم به هذا البحث — الذى دار حول موضوع :
الإسلام والأديان السماوية الأخرى ، معطيا موجزا مُركّزا لنقاط الاتفاق
والاختلاف — هو أن نقول :

﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١)

(١) سورة الصافات الآية ١٨٠ — ١٨٢ .

ملاحق

- محو صيغة التثنية من الطبقات الحديثة .
- روايات الصلب .
- روايات القيامة .
- روايات الظهور .
- روايات هلاك يهوذا الخائن .
- ملخص لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل.
- المسيح في الأناجيل .
- بولس .
- المرأة في الأديان .
- شكل الكون حسبما جاء في الكتاب المقدس.

تمهيد

يتكون " الكتاب المقدس " من جزئين رئيسيين هما : العهد القديم ، والعهد الجديد ، ويتصدر كل منهما فهرس يبين محتوياته .

ويتكون العهد القديم — حسب عقيدة اليهود والبروتستانت — من تسعة وثلاثين سفرا ، بينما يضيف الكاثوليك سبعة أسفار أخرى تحت اسم : الأسفار القانونية الثانية . وهي مأخوذة من أسفار منحولة تعرف باسم الابوكريفا .

ويتكون العهد الجديد من الأناجيل الأربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وسفر أعمال الرسل ، ورسائل بولس ، ورسائل بعض تلاميذ المسيح ، ورؤيا يوحنا . ويبلغ مجموع أسفاره سبعة وعشرين كتابا ، ولم يتفق على محتواه إلا سنة ٣٦٧ م .

وتعرف الأناجيل الثلاثة الأولى باسم الأناجيل الإزائية أو المتشابهة وهي تختلف عن الإنجيل الرابع فكرا وأحداثا .

وقد قسم كل سفر من أسفار " الكتاب المقدس " إلى عدد من الاصحاحات (الفصول) ، يحمل كل منها رقما مسلسلا ، كما رقت عبارات كل اصحاح . وبذلك يمكن الوصول إلى أي عبارة (عدد)

منه بمعرفة : اسم السفر ورقم الصفحة الأولى منه (وهذه تؤخذ من الفهرس) . بعد ذلك يجري البحث خلال السفر نفسه للوصول إلى الاصحاح المطلوب حسب رقمه ، ثم يجري البحث داخل الاصحاح نفسه للوصول إلى العبارة المطلوبة حسب رقمها .

مثال (١) :

عبارة أشير إليها هكذا : خروج ٢٠ : ٢ .
وهذا يعني أنها تقع في : سفر الخروج — الاصحاح رقم ٢٠ —
العبارة رقم ٢ وهذه هي الوصية الأولى من الوصايا العشر كما جاءت في التوراة ، والتي تدعو إلى توحيد الله ، إذ تقول :
” أنا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية .
لا يكن لك آلهة أخرى أمامي “ .

مثال (٢) :

عبارة أشير إليها هكذا : يوحنا ١٧ : ٣ .
وهذا يعني أنها تقع في : انجيل يوحنا — الاصحاح رقم ١٧ —
العبارة رقم ٣ وهذه تعطي شهادة التوحيد التي نطق بها المسيح وعلمها تابعة ، إذ تقول : ” وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته “ .
أي : لا إله إلا الله . المسيح رسول الله .

هذا — وتعالج الملاحق التالية مجموعة من القضايا الأساسية وخاصة في المسيحية . وتقوم أغلبها على دراسات علماء الكتاب المقدس .

الملحق رقم (١)

محو صيغة التثليث من الطباعات الحديثة

وردت هذه الصيغة فى رسالة يوحنا الأولى — الاصحاح الخامس :
العدد ٧ — وكانت تعتبر النص الوحيد — فى الكتاب المقدس — الذى
يعطى الأساس لعقيدة التثليث التى تقول بأن الثلاثة : الآب والكلمة
والروح القدس هم واحد !

لكن التراجم الحديثة للكتاب المقدس حذفوها باعتبارها نصا دخيلا
اقحمه كاتب مجهول منذ قرون ...

يقول كتاب : « هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله ؟ » الذى طبع
فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩ ، ثم فى بيروت ، بالعربية
عام ١٩٧١ ويوزع كرسالة تنصيرية ، فى صفحة ١٦٠ — وهو يتحدث
عن الترجمات المختلفة المتلاحقة التى من شأنها تنقية الكتاب المقدس
مما يكون قد علق به من أخطاء نتيجة لقصور الترجمات السابقة — ما
يلى ^(١) :

« بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء ، يتمكن
العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسلت إليها .

مثالا على ذلك : الادخال الزائف فى يوحنا الأولى ، الاصحاح الخامس ، فالجزء الأخير من العدد ٧ والجزء الأول من العدد ٨ يقول : حسب الترجمة البروتستنتية العربية ، طبع الأميركان فى بيروت (ونقرأ فى الترجمة اليسوعية العربية شيئاً مماثلاً) .

(فى السماء ... الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة) .

ولكن ، طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد ، لم تشتمل أية مخطوطة يونانية على هذه الكلمات . وترجمة حريصا العربية تحذف هذه الكلمات كلياً من المتن . والترجمة البروتستنتية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين ، موضحة فى المقدمة أنه (ليس لها وجود فى أقدم النسخ واصحها) . وهكذا تساعدنا الترجمات العصرية للكتاب المقدس الوصول إلى المعنى الصحيح لما نقرأه .

تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاتوليك :
« لأن الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والشهود فى الأرض ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم فى واحد — ١ يوحنا ٥ : ٧ — ٨ » .

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت :
« فإن الذين يشهدون (فى السماء) هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد » .

وإذا رجعنا إلى التنبيه الذى وضعته هذه الترجمة فى مطلعها نجده يقول فى الكلمات التى توضع بين هلالين أو قوسين ما يلى :

« والهلالان () يدلان على أن الكلمات التى بينها ليس لها

وجود فى أقدم النسخ وأصحها » .

أى أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة من عمل كاتب مجهول ...

وتقول ترجمة العهد الجديد للكاتوليك :

« والذين يشهدون ثلاثة (٧) .

الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة متفقون (٨) .

ثم تقول فى الحاشية السفلى تعليقا على العدد (٧) :

« فى بعض الأصول : الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . لم يرد ذلك فى الأصول اليونانية المعول عليها ، والأرجح انه شرح أدخل إلى المتن فى بعض النسخ » .

وهذا هو ما تقوله أيضاً ترجمة العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية ، سواء بالنسبة للمتن أو للحاشية .

وتظهر صيغة التثليث هذه فى ترجمة الملك جيمس الانجليزية فقط ، لكنها اختفت من كل من :

الترجمة القياسية الانجليزية ^(١) ، والترجمة الفرنسية المسكونية ^(٢) ، وترجمة لوى سيجو الفرنسية .

ومن الملاحظ أن صيغة التثليث قد اختفت من التراجم الكاثوليكية الفرنسية الحديثة التى ظهرت منذ أكثر من ٧٥ عاما ، كما أنها اختفت من التراجم البروتستانتية الحديثة التى ظهرت منذ أكثر من ٤٠ عاما ،

“ And the Spirit is the witness, because the Spirit is the truth. 7 There are (١) three witnesses, the Spirit, the water, and the blood, and these three agree, 8 ”

“ C'est qu'ils sont trois à rendre témoignage. 7 l'Esprit, l'eau et le sang, (٢) et ces trois convergent dans l'unique témoignage. 8”

بينما هي لا تزال فى الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت ، ولو أنها وضعت بين هلالين علامة على عدم أصالتها .

كذلك اختفت صيغة التثليث من التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة مثل : العهد الجديد للكاثوليك ، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية .

والسؤال الآن : من المسئول عن مصائر الملايين من المسيحيين الذين هلكوا وهم يعتقدون أن عقيدة التثليث التى تعلموها تقوم على نص صريح فى كتابتهم المقدس ، بينهما هو نص دخيل أقحمته يد كاتب مجهول ؟!...

إن الإجابة والمسئولية لتقع أولاً وأخيراً على عاتق الذين اؤتمنوا على الكتاب المقدس وكانوا عليه حفاظاً و مترجمين ^(١) ...

(١) لمزيد من التفاصيل ، راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

روايات الصلب

يسير مسلسل الأحداث ، خلال الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة ، بصورة عامة حسب روايات الأناجيل — وعلى خلاف بينها — على النحو التالي :

● يسأل التلاميذ معلمهم — المسيح — عن المكان الذى يريد أن يأكل فيه عشاء الفصح . وهو عيد جعل تذكارا لخروج بنى إسرائيل من مصر ، تذبح فيه خراف الفصح مساء نحو غروب الشمس ، ثم يؤكل اللحم مشويا بالنار فى ليلته ولا يبقى منه شئ إلى الصباح . ويوم ذبح الخراف هو بداية أسبوع الفطير .

● يقول لهم المسيح : ” اذهبوا إلى المدينة (أورشليم) إلى فلان وقولوا له المعلم يقول أن وقتى قريب . عندك أصنع الفصح مع تلاميذى . ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح “ .

لقد اتفقت الأناجيل الثلاثة : متى ومرقس ولوقا على أن العشاء الأخير الذى حضره المسيح مع تلاميذه كان عشاء الفصح ،

لكن لإنجيل يوحنا جعله عشاء عاديا يؤكل قبل الفصح بعدة أيام .

● وأثناء العشاء يتنبأ المسيح أن أحد تلاميذه سيخونه . ويسأله التلاميذ عن علامة ذلك التلميذ الخائن ، فيقول المسيح فى بعض الأناجيل : ” الذى يغمس يده معى فى الصفحة “ ، بينما يقول فى إنجيل آخر : ” الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيته “ .

● لقد كانت خيانة ذلك التلميذ بسبب دخول الشيطان فيه قبل العشاء الأخير ، إذ يقول لوقا : ” قرب عيد الفطر .. دخل الشيطان فى يهوذا الذى يدعى الاسخريوطى “ بينما يقول يوحنا أنه أثناء العشاء الأخير : ” غمس (يسوع) اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى . فبعد اللقمة دخله الشيطان “ .

● وبعد أن أكل المسيح الفصح مع تلاميذه ” خرجوا إلى جبل جبل الزيتون .. إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى “ ، حيث بدأ يصلى لكى ينجو من الخطر الذى شعر به . وقال لتلاميذه : ” نفسى حزينة جدا حتى الموت . اسهروا معى .. وكان يصلى قائلاً : إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت “ .

● وهناك الوقت متأخر ليلاً ، جاء يهوذا الخائن ومعه جند وخدام ” من عند رؤساء الكهنة بمشاعل ومصابيح وسلاح “ . وكان يهوذا ” قد أعطاهم علامة قائلاً : الذى أقبله هو هو . أمسكوه “ . ذلك أنهم لم يكونوا يعرفون المسيح شخصياً .

● لكن انجيل يوحنا لا يعرف شيئاً عن القبلية التى كانت علامة للتعرف على المسيح ، ولهذا أعطى صورة مخالفة لعملية القبض ، إذ يقول : تقدم اليهم ” يسوع وقال لهم : من

تطلبون ؟ أجابه : يسوع الناصرى . فقال لهم يسوع : أنا هو . فلما قال لهم : إني أنا هو ، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض “ !

● وأخيرا تمت عملية قبض بعد عشاء الفصح ، أى مساء الخميس حسب مرقس ومتى ولوقا . أما حسب يوحنا فقد كان القبض مساء الأربعاء قبل يوم الفصح ، إذ جاءوا بالمقبوض عليه صباح اليوم التالى (الخميس) إلى دار الولاية . فهو يقول : ” ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية . وكان صبح . ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكى لا يتنجسوا فياكلون الفصح ١٨ : ٢٨ “ .

● ولقد ترتب على هذا الخلاف بين يوحنا من جانب والثلاثة الآخرين من جانب آخر ، أن كانت عملية الصلب التى تمت فى اليوم التالى لعملية القبض ، قد حدثت يوم الخميس حسب يوحنا ، وهو اليوم الذي يؤكل فيه الفصح مساء ، إذ أنه يقول : ” فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع .. وكان استعداد الفصح .. فصرخوا : خذه أصلبه .. حينئذ أسلمه إليهم ليصلب ١٩ : ١٣ — ١٦ “ .

إن أبسط القضايا فى حياة البشر اليومية حين تعرض على القاضى وقد تضاربت فى شهادة الشهود ، فإنه يمتنع الحكم إلى أن يحدث تعزيز لأحد الجانبين . فهناك قاعدة أصيلة تقول : كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال . فما بالناس والقضية تتعلق بأساسيات عقيدة دينية يتوقف عليها المصائر الأبدية لملايين البشر !

● هذا ، ولقد اتفقت الأناجيل أنه فى ساعة المحنة التى حلت بالمسيح وأصابه فيها ما أصابه من فزع واضطراب ، فقد ” تركه التلاميذ كلهم وهربوا “ !

[انظر بيان : العشاء الأخير وعملية القبض]

العشاء الأخير وعملية القبض

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١	توقيت العشاء الأخير	عشاء الفصح ١٢ : ١٤	عشاء الفصح ١٧ : ٢٦	عشاء الفصح ٧ : ٢٢	عشاء عادي قبل الفصح ١ : ١٣
٢	دور التلاميذ في إعداد العشاء	أرسل إثنين منهم ١٣ : ١٤	أرسل التلاميذ جميعاً ١٩ : ٢٦ — ١٨	أرسل إثنين منهم (بطرس ويوحنا) ١٣ : ٢٢ ، ٨	(١)
٣	علامة التلميذ الخائن	الذي يغمس مع المسيح في الصفحة ٢٠ : ١٤	الذي يغمس مع المسيح في الصفحة ٢٣ : ٢٦	الذي يده مع المسيح على المائدة ٢١ : ٢٢	الذي غمس المسيح اللقمة وأعطاه إياها ٢٦ : ١٣
٤	متى دَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الْخَائِنِ	قبل العشاء الأخير (يوم على الأقل) ١٢ — ١٠ : ١٤	قبل العشاء الأخير (يوم على الأقل) ١٧ — ١٤ : ٢٦	قبل العشاء الأخير (يوم على الأقل) ٧ — ٣ : ٢٢	أثناء العشاء الأخير بعد أن أعطاه المسيح اللقمة ٢٧ : ١٣
٥	كَيْفَ تعرَّفَ الجُنْدُ عَلَى المسيح	بعد قُبلة يهوذا ٤٦ — ٤٥ : ١٤	بعد قُبلة يهوذا ٥٠ — ٤٩ : ٢٦	بعد أن دنا يهوذا من المسيح ليقبله ٤٧ : ٢٢	قدم المسيح نفسه متحدياً، بلا قبلة ٨ — ٤ : ١٨
٦	توقيت القبض	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٤٣ : ١٤	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٤٧ : ٢٦	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٤٧ : ٢٢	قبل عشاء الفصح (مساء الأربعاء) ٢٨ : ١٨
٧	سُلُوكُ التَّلَامِيذِ عِنْدَ الْقَبْضِ	تركه الجميع وهربوا ٥٠ : ١٤	تركه التلاميذ كلهم وهربوا ٥٦ : ٢٦		

(١) هذه النقاط الست (.....) تحت أي إنجيل في أي من الجداول تعني أن هذا الإنجيل لم يذكر شيئاً محدداً يتعلق بنقطة البحث .

● يبدأ التمهيد لعملية الصلب بعدد من المحاكمات ، اختلفت فيها الأناجيل . فقد ذكر مرقس ومتى ويوحنا أنه حدثت محاكمة بعد القبض مباشرة عند منتصف ليلة عيد الفصح . لكن لوقا لا يعرف شيئا عن تلك المحاكمة الليلية ، ويستبدلها بمحاكمة نهائية صباح الجمعة .

● كما أن لوقا انفرد — دون بقية الأناجيل — بذكر محاكمة حدثت أمام هيرودس حاكم الجليل . ولهذا ذكر ثلاث محاكمات وخمس رحلات جعلها كلها تحدث نهار الجمعة خلال فترة نحو خمس ساعات وفي أماكن متفرقة .

● ثم كان يوم الصلب — يوم آخر محاكمة ، إذ اقتيد بعدها المقبوض عليه إلى موضع الصلب — يوم الجمعة حسب مرقس ومتى ولوقا . أما يوحنا فقد جعله يوم الخميس وهو اليوم الذي تذبح فيه خراف الفصح .
[انظر بيانات : المحاكمات ، وعدد المحاكمات ، ويوم الصلب ، والتحركات منذ القبض حتى الصلب] .

✱

المحاكمات

سلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٨	المحاكمة الأولى				
—	التوقيت	ليلاً بعد القبض	ليلاً بعد القبض	نهاراً في اليوم	ليلاً بعد القبض
		مباشرة (ليلة)	مباشرة (ليلة)	التالي للقبض	مباشرة (الليلة)
		عيد الفصح	عيد الفصح	(الجمعة)	السابقة لليلة
					عيد الفصح
	هيئة المحكمة	رئيس الكهنة والمجمع	رئيس الكهنة والمجمع	رئيس الكهنة والمجمع	حنان حموقيافا ثم قيافا رئيس الكهنة
		١٤ : ٥٣—٥٥	٢٦ : ٥٧—٥٩	٢٢ : ١٣	١٨ : ١٢—١٣
٩	المحاكمة الثانية				
—	التوقيت	صباح اليوم	صباح اليوم	صباح اليوم	صباح اليوم
		التالي (الجمعة)	التالي (الجمعة)	التالي (الجمعة)	التالي (الخميس)
—	هيئة المحكمة	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي
		١ : ١٥	١ : ٢٧	١ : ٢٣	١٨ : ٢٨—٣٣
١٠	المحاكمة الثالثة				
—	التوقيت			صباح اليوم	
				التالي (الجمعة)	
—	هيئة المحكمة			هيرودس حاكم الجليل	
				٢٣ : ٧—١٠	

عدد المحاكمات

مسلل عام	الوقت	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١١	ليلا بعد القبض مباشرة	١	١	...	١
١٢	نهار اليوم التالي للقبض	١	١	٣	١
١٣	المجموع الكلي	٢	٢	٣	٢

*

يوم الصلب

مسلل عام	نقطة البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٤	يوم آخر محاكمة (هو يوم الصلب)	الجمعة	الجمعة	الجمعة	الخميس يوم تذبح خراف الفصح «وكان استعداد الفصح»
		٢٠،١٥:١٥	٣١،٢٦:٢٧	٣٣،٢٤:٢٣	١٨-١٤:١٩

التحركات منذ القبض حتى الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٥	الرحلة الأولى	مساء الخميس «إلى رئيس الكهنة»	مساء الخميس «إلى قيافا رئيس الكهنة»	مساء الخميس «إلى بيت رئيس الكهنة»	مساء الأربعاء «إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا رئيس الكهنة»
		٥٣ : ١٤	٥٧ : ٢٦	٥٤ : ٢٢	١٣ : ١٨
١٦	الرحلة الثانية	صباح الجمعة «إلى ييلاطس»	صباح الجمعة «إلى ييلاطس»	صباح الجمعة «إلى ييلاطس»	مساء الأربعاء «إلى دار رئيس الكهنة»
		١ : ١٥	١ : ٢٧	١ : ٢٣، ٦٦ : ٢٢	١٨، ١٥ : ١٨
١٧	الرحلة الثالثة	نهار الجمعة «إلى موضع جلجنة» مكان الصلب	نهار الجمعة «إلى موضع يقال له جلجنة»	نهار الجمعة «إلى هيرودس .. في أورشليم»	صباح الخميس «إلى دار الولاية (إلى ييلاطس) وكان صبح»
		٢٢ : ١٥	٣٣ : ٢٧	٧ : ٢٣	٢٩ - ٢٨ : ١٨
١٨	الرحلة الرابعة			نهار الجمعة «رده (هيرودس) إلى ييلاطس»	نهار الخميس «مضوا به إلى موضع جلجنة»
				١١ : ٢٣	١٧ - ١٦ : ١٩

مسلل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٩	الرحلة الخامسة			نهار الجمعة «مضوا إلى الموضع الذي يدعى جمجمة» ٢٣ : ٣٣	
٢٠	عدد الرحلات	٣	٣	٥	٤

- وإذا تتبعنا أحداث الصلب التي أعقبت المحاكمات ، نجدها تبدأ بأستهزاء العسكر بالمقبوض عليه وضربه ووضع أكليل من الشوك فوق رأسه .
 - وكان هؤلاء جنود بيلاطس ، حسب مرقس ومتى ويوحنا . أما حسب لوقا فقد كانوا جنود هيرودس .
 - ثم كان سمعان القيرواني هو حامل الصليب ، حسب مرقس ومتى ولوقا ، بينما قال يوحنا أن المقبوض عليه ” خرج وهو حامل صليبه “ .
 - وقد اختلفت الأناجيل في علة المصلوب التي قيل ان العرف جرى على كتابتها على الصليب . فكانت ” ملك اليهود “ حسب مرقس ، بينما جعلها يوحنا : ” يسوع الناصري ملك اليهود “ وبلغات ثلاث هي : العبرانية واليونانية واللاتينية ، وان الذى كتب ذلك كان هو الحاكم الرومانى بيلاطس !
 - وقد صلب معه لصان كانا يعيرانه ، حسب مرقس ومتى . أما حسب لوقا فقد كان أحدهما يعيره بينما كان الآخر يواسيه ويدافع عنه .
 - ثم كانت صرخة اليأس على الصليب عتابا يائسا بين المصلوب وربّه ، إذ قال : ” إلهى ! إلهى ! لماذا تركتني ؟! “ حسب مرقس ومتى . أما لوقا فقد استبدلها بقوله : ” فى يدك استودع روحى “ .
 - وكانت الساعة الثالثة هى وقت الصلب ، حسب مرقس ، أما حسب يوحنا فكانت نحو السادسة .
 - ولقد كان شهود الصلب ” نساء ينظرن من بعيد “ .
- [انظر بيان : أحداث الصلب] .

*

أحداث الصلب

سلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢١	إستهزاء العسكر قبل الصلب (إكليل) الشوك — الضرب — البصق)	«جنود يلاطس» ٢٠: ١٦ — ٢٧: ٣١	«جنود يلاطس» ٢٧: ٢٧ — ٣١	«جنود هيرودس» ١١: ٢٣	«جنود يلاطس» ١٩: ١ — ٥
٢٢	حامل الصليب	سمعان القيرواني ١٥: ٢١	سمعان القيرواني ٢٧: ٣٢	سمعان القيرواني ٢٣: ٢٦	المصلوب نفسه ١٩: ١٧
٢٣	شراب المصلوب قبل صرخة اليأس	خمرا ممزوجة بمر فلم يقبل ١٥: ٢٣	خلا ممزوجا بمرارة ولما ذاق لم يشرب ٢٧: ٣٤		
٢٤	علة المصلوب	«ملك اليهود» ١٥: ٢٦	«هذا هو يسوع ملك اليهود» ٢٧: ٣٧	اليهود [يونانية — رومانية — عبرانية] ٢٣: ٣٨	ملك اليهود [عبرانية — يونانية — لاتينية] ١٩: ١٩ — ٢٠
٢٥	اللسان والمصلوب	«كانا يعبرانه» ١٥: ٣٢	«كانا يعبرانه» ٢٧: ٤٤	كان أحدهما يعبره والآخر يدافع عنه ٢٣: ٣٩ — ٤٠	

مسلل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٦	وقت الصلب	الساعة الثالثة		قبل الساعة السادسة	الساعة السادسة
		٢٥ : ١٥		٤٤ — ٣٣:٢٣	١٦ — ١٤ : ١٩
٢٧	صرخة اليأس على الصليب	«إلهي، إلهي لماذا تركتني»	«إلهي، إلهي لماذا تركتني»	«يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» ٣٤ : ٢٣	
		٣٤ : ١٥	٤٦ : ٢٧		
٢٨	شهود الصلب	«نساء ينظرن من بعيد»	«نساء كثيرات ينظرن من بعيد»	«جميع معارفه ونساء واقفين من بعيد ينظرن»	أمه وأخت أمه ومريم المجدلية واقفات عند الصليب (عن قرب) ٢٥ : ١٩
		٤٠ : ١٥	٥٥ : ٢٧	٤٩ : ٢٣	

روايات القيامة

تقول الأناجيل أن المسيح ، بعد أن مات على الصليب يوم الجمعة حسب مرقس ومتى ولوقا ، أو يوم الخميس حسب يوحنا ، فقد أنزل من على الصليب ووضع جسده فى قبر مساء يوم الصلب . وفى الساعات الأولى من فجر يوم الأحد اكتشفت بعض النسوة من معارف المسيح خلو ذلك القبر من أى جسد .

لقد كانت تلك نواة بدأت تتكون حولها روايات تقول أن المسيح قام من الأموات ، ثم ما لبثت هذه أن تداخلت معها روايات أخرى تقول أنه بعد قيامته ظهر لعدة أشخاص ، كانت أولاهن — بالطبع — تلك التى بدأت حديث القيامة ، ألا وهى مريم المجدلية ” التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين — مرقس ١٦ : ٩ “ وتبدأ رواية القيامة بقول انجيل مرقس : ” بعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومه حنوطا ليأتين ويدهنه . وباكر جدا فى أول الأسبوع أتتا إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فى أنفسهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . فتطلعن ورأين الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا .

ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندھشن : فقال أتنن تطلبن يسوع الناصرى . قد قام “ وهكذا بدأت فكرة القيامة من الأموات .

ورغم أن حادثة زيارة النساء للقبر لم تستغرق وقتاً طويلاً يسمح بتعدد رواياتها ، إلا أن الأناجيل الأربعة اختلفت فيها ، ولم تتفق إلا على كون مريم المجدلية هي قائدة رحلة الزيارة وما نتج عنها من فكرة القيامة التي صارت فيما بعد إحدى ركائز العقيدة المسيحية التي أنشأها بولس .

فلقد اختلفوا في عدد الزائرات ، ووقت الزيارة ، ومن كان موجوداً بالمقبرة ، وما يتعلق بالرسالة التي كلفن بإبلاغها .

[انظر بيان : روايات القيامة] .

روايات القيامة

سلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٩	زوار المقبرة	«مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة»	«مريم المجدلية ومريم أخرى»	«مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات»	«مريم المجدلية»
		١ : ١٦	١ : ٢٨	١٠ : ٢٤	١ : ٢٠
٣٠	وَقْتُ الزَّيَارَةِ	بعد طلوع الشمس	عند الفجر	أول الفجر	«باكرًا والظلام باق»
		٢ : ١٦	١ : ٢٨	١ : ٢٤	١ : ٢٠
٣١	مَاذَا رَأَتْ الزَّائِرَاتُ فِي المَقْبَرَةِ	«شابًا جالسًا على اليمين لابسًا حلة بيضاء»	«ملاك الرب دحرج الحجر عن الباب وجلس عليه»	«رجلان بثياب براقة»	«ملاكين بثياب بيض جالسين واحدًا عند الرأس والآخر عند الرجلين»
		٥ : ١٦	٢ : ٢٨	٤ : ٢٤	١٢ : ٢٠
٣٢	الرسالة التي كلفت بها الزائرات	«قلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل»	«قولاً لتلاميذه أنه قام من الأموات ها هو يسبقكم إلى الجليل»	«إذكرون كيف كلمكن وهو بعد الجليل»	
		٧ : ١٦	٧ : ٢٨	٦ : ٢٤	
٣٣	مَاذَا فَعَلَتْ الزائرات بالرسالة	«لم يقلن لأحد لأنهن كن خائفات»	«خرجتا سريعاً لتخبرا تلاميذه»	«أخبرن الأحد عشر وجميع الباقين»	
		٨ : ١٦	٨ : ٢٨	٩ : ٢٤	

روايات الظهور

- تذكر أناجيل مرقس ومتى ويوحنا أن المسيح بعد أن قام من الأموات فقد ظهر أولاً لمريم المجدلية التي لم تعرفه وظنته البستاني ! ولما أخبرت مريم الآخرين لم يصدقوا .
 - أما لوقا فقد أسقط هذه الرواية ، وجعل الظهور الأول من نصيب اثنين من تلاميذه ، واللذين لم يعرفانه ! .
 - حدث الظهور للتلاميذ معا مرة واحدة حسب مرقس ومتى ولوقا . أما يوحنا فقد جعله يحدث ثلاث مرات .
 - اتفق مرقس ومتى على أن الظهور للأحد عشر تلميذا حدث في الجليل ، فاختلفا في ذلك مع لوقا ويوحنا اللذين جعلاه يحدث في اورشليم .
 - اتفقت روايات الأناجيل على شك التلاميذ جميعا في روايات الظهور .
- [انظر بيان : روايات الظهور] .

رَوَايَاتُ الظُّهُورِ

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٣٤	الظهور الأول — الشهود — رد الفعل	«مريم المجدلية» أخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا	«مريم المجدلية» ومريم الأخرى»	«إثنان منهم» لم يعرفاه	«مريم المجدلية» لم تعلم أنه يسوع فظنت أنه البيستاني»
		١٦ : ٩ — ١١	٢٨ : ١ ، ٩	٢٤ : ١٣ ، ١٦	٢٠ : ١٤ — ١٥
٣٥	الظهور الثاني — الشهود — رد الفعل	«إثنين منهم» وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا»	في الجليل «الأحد عشر تلميذاً» «بعضهم شكوا»	سمعان	في أورشليم التلاميذ عدا توما (مساء الأحد) توما لم يصدق
		١٦ : ١٢ — ١٣	٢٨ : ١٦ — ١٧	٢٤ : ٣٤	٢٠ : ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥
٣٦	الظهور الثالث — الشهود — رد الفعل	في الجليل الأحد عشر وبُغ عدم إيمانهم	(في أورشليم) التلاميذ «ظنوا أنهم نظروا روحاً»	(في أورشليم) التلاميذ توما (بعد ثمانية أيام)	
		١٦ : ١٤	٢٤ : ٣٦ — ٣٧	٢٠ : ٣٦	
٣٧	الظهور الرابع — الشهود — رد الفعل				التلاميذ (على بحيرة طبريا) «لم يكونوا يعلمون أنه يسوع»
					٢١ : ١ ، ٤

٣٨ ملاحظة : إنجيل مرقس الأصلي لم يذكر شيئاً عن روايات الظهور إذ أنه ينتهي عند ١٦ : ٨ وما ذكر بعد ذلك « الأعداد من ٩ إلى ٢٠ » إنما هي إضافة الحقت به نحو عام ١٨٠ ميلادية .

شك التلاميذ فى روايات القيامة والظهور

تمتلىء روايات الأناجيل عن القيامة والظهور بالكثير من المآخذ والثغرات التى يستطيع القارئ تلمسها بمجرد المطالعة ومقارنة المواقف المتشابهة فى الأناجيل المختلفة .

وتكفى هذه المآخذ والثغرات لرفض ما تقوله تلك الروايات عن قيامة المسيح وظهوره . وكيف لا ترفض وقد رفضها كاتب إنجيل مرقس الأصلى فأسقطها من حسابه وأنهى الإنجيل عند ١٦ : ٨ ، كذلك رفضها تلاميذ المسيح وشكوا فيها ذلك الشك المريب الذى سجلته الأناجيل .

لقد شك التلاميذ جميعا فيما روته مريم المجدلية ومن معها من النسوة عن قيامة المسيح من الأموات فحين ” رجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل .

فراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقون .

فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجباً فى نفسه مما كان — لوقا ٢٤ : ٩ — ١٢ “ .

هكذا كان موقف تلاميذ المسيح من روايات القيامة ، وهم الذين التصقوا به منذ اختارهم حتى رحل عنهم ، وكان على رأسهم بطرس ، وفيهم يوحنا ، وهم الذين تلقوا تعاليمه ووعوها قبل أن تظهر بينهم مريم المجدلية ومن بعد ما ظهرت .

إن أناجيل مرقس ومتى ولوقا تذكر لنا حديثاً جرى بين المسيح وتلاميذه تنبأ فيه بقتله ثم قيامته من الأموات .. فهي تقول :

” ابتداء يعلمهم أن ابن الإنسان (المسيح) ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم . وقال القول علانية .

فأخذه بطرس إليه وابتداء ينتهره فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن للناس — مرقس ٨ : ٣١ — ٣٣ ، متى ١٦ : ٢١ — ٢٣ ، لوقا ٩ : ٢٢ “ .

إن رواية الحوار بين المسيح وتلاميذه على هذه الصورة تعنى أن القيامة من الأموات أصبحت أمراً مفروغاً منه ، مثلها كمثّل القتل ، ذلك أن الأناجيل تذكر أن المسيح ” قال القول علانية “ .

ولما راجعه فيه بطرس أمام التلاميذ ما كان من المسيح إلا أن أغلظ له القول ولقبه بالشیطان .

فإذا وجدنا بعد ذلك أن روايات القيامة التي جاءت بها مريم المجدلية كانت بالنسبة لبطرس ورفاقه كلاماً ” كالهذيان “ لا يمكن تصديقه ، فإن النتيجة التي لا مفر من التسليم بها هي :

إن ذلك الحوار الذي قيل أنه جرى بين المسيح وتلاميذه والذي تنبأ فيه بقتله ثم قيامته لم يحدث على الإطلاق ، وأن ما نجده عن ذلك الحوار في الأناجيل لا يعدو أن يكون إضافات ادخلت إليها فيما بعد .

إن هذا ما ينطق به إنجيل يوحنا حين يقرر أن فكرة القيامة كانت غريبة تماماً بالنسبة للتلاميذ الذين فوجئوا برواية مريم المجدلية . فحين ذهبت هذه وأخبرت بطرس ويوحنا فإنهما تسابقا إلى القبر ” فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولاً إلى القبر ورأى فأمن . لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات .

فمضى التلميذان (بطرس ويوحنا) أيضا إلى موضعهما — يوحنا ٢٠ : ٨ — ١٠ “ .

على أن الشيء الذى اتفقت عليه الأناجيل — بجانت إتفاقها على شك التلاميذ فى روايات القيامة هو إتفاقها على خلو ذلك القبر — الذى قيل إن جسد المسيح قد دفن فيه — من أى جسد .

كذلك شك التلاميذ فيما روته مريم المجدلية وغيرها عن ظهور المسيح .

يقول انجيل مرقس فى خاتمته التى أضيفت إلى ما سطره مرقس فيما بعد ، أنه عندما ذهبت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أن المسيح قد ظهر لها ” فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا “ .

وكذلك كان الحال مع الإثنين اللذين قيل أنه ظهر لهما ، إذ لما ” ذهب هذان وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا ولا هذين “ .

لقد شك التلاميذ حتى آخر لحظة فى روايات الظهور ، وهو الأمر الذى جعل كتبة الأناجيل يقولون ما قالوا عن ظهور المسيح لتلاميذه الأحد عشر مصحوبا بتوبيخهم لعدم إيمانهم ” لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام “ .

أما رواية متى التى تتكلم عن ظهور المسيح لتلاميذه فإنها تسجل شكهم فى أن يكون ذلك الذى ظهر لهم هو المسيح الذى عرفوه جيداً وصاحبوه زماناً لم يفارقوه فيه البتة — فهى تقول : ” أما الأحد عشر

تلميذاً .. لما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا “ .

وكذاك يقول لوقا أن المسيح حين ظهر لتلاميذه فإنهم “ جزعوا وخافوا وظنوا إنهم نظروا روحاً .

فقال لهم ما بالكم مضطربين .. وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أ عندكم ههنا طعام فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئاً من شهد عسل “ .

ويسجل يوحنا شك أحد التلاميذ — ويدعى توما — بصورة تقطع بأن فكرة القيامة لا علاقة لها بالثبوت برسالة المسيح وتعاليمه ، وإنما هي شيء دخيل ألصق بها فيما بعد .

” أما توما أحد الإثنى عشر الذي يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع : فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب .

فقال لهم إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع اصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن “ .

أن كل قول لم يبصر في مسيحية المسيح الحققة الفاضلة سوى الصلب والقيامة ، قد قادها إلى مغامرة خطيرة وجعلها تحت رحمة التاريخ . وإذا رجعنا إلى ما يسعفنا به التاريخ في روايات القيامة والظهور لوجدناه في غير صالح ذلك المفهوم الذي لم ير بولس شيئاً غيره في مسيحية المسيح .

يقول أدولف هرنك أن هناك عدداً من النقاط مؤكدة تاريخياً منها “ أن أحداً من خصوم المسيح لم يره بعد موته — وأنه لا يمكن التحقق بيقين من تواتر مرات الظهور وعددها — وأن القبر الذي كان خالياً في اليوم الثالث لا يمكن إعتباره حقيقة مؤكدة تاريخياً بأى حال من الأحوال “ (١) .

- Adolf Harnack : HISTORY OF DOGMA, London, 1961, Vol. I, P.85 (١)

روايات هلاك يهوذا الخائن

اختلف متى مع لوقا الذي كتب سفر أعمال الرسل في روايتيهما عن هلاك يهوذا الاسخريوطى الخائن . فقد ذكر متى أن يهوذا ندم لخيانة معلمه ، فرد ” الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة ثم مضى وخنق نفسه . فقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل المخارى مقبرة للغرباء . لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم “ .

أما لوقا فيذكر في سفر أعمال الرسل رواية عن بطرس أن يهوذا ” اقتنى حقلا من أجره الظلم ، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، حتى دعى ذلك الحقل حقل دم “ .

أما مرقس ويوحنا فلم يعرفا شيئا عن نهاية يهوذا ، ولذا سكنا عنها .

وإذا قرأنا ملخصا لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل — حسبما جاء في الملحق التالى رقم (٦) — لوجدناها تشير إلى هلاك يهوذا بنفس ” آلة الموت “ التى ساهم فى تجهيزها لمعلمه ، الا وهى الصليب الذى كان وسيلة الاعدام الرئيسية عند الرومان .

رَوَايَات هلاك يهوذا الخائن

مسلل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	أعمال الرسل (كتيبه لوقا)	يوحنا
٣٩	كيف مات		انتحر إذ أنه « مضى وخنق نفسه »	مات ميتة دموية إذ « سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها »	
			٥ : ٢٧	١٨ : ١	
٤٠	من اشترى الحقل بثمر الخيانة الذي أخذ من الكهنة ؟		« الكهنة اشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء »	« اقتنى حقلًا من أجرة الظلم »	
			٧ : ٢٧	١٨ : ١	
٤١	لماذا سمى الحقل حقل دم ؟		لأن نقوده كانت « ثمن دم » بريء	بسبب الميتة الدموية التي ماتها « دعى ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم »	
			٢٧ : ٤ — ٨	١٩ — ١٨ : ١	

ملخص لتنبؤات المزامير بإنجاة المسيح من القتل

ان جميع تنبؤات المزامير التى تختص بالمسيح يجب أن تكون متكاملة ،
لا ينقض أحدها الآخر ، إنما يزداد الأمر بجمعها معا إيضاها و يقينا .

والخلاصة أن تنبؤات المزامير بالأحداث التى يتعرض لها المسيح
تشتمل على سبعة عناصر ، نذكرها بما يشهد لها من تلك المزامير .

١ — يتآمر الرؤساء (الكهنوت اليهودى) على المسيح لقتله والتخلص منه :

” قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه
قائلين . لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما — ٢ : ٢ — ٣ “ .

” الخوف مستدير بى بمؤامرتهم معا على . تفكروا فى أخذ نفسى
٣١ : ١٣ “ .

٢ — يستخدم المتآمرون عميلا من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن :

” رجل سلامتى الذى وثقت به ، آكل خبزي رفع على عقيبه —
٤١ : ٩ “ .

” ليس عدو يعيرنى فاحتمل . ليس مبغضى تعظم على فأختبئ منه .
بل أنت إنسان عديلى . إلفى وصديقى . الذى معه كانت تحلو لنا

العشرة . إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور — ٥٥ : ١٢ —
١٤ “ .

” الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه .. الشرير يراقب
الصديق محاولاً أن يميته — ٣٧ : ١٢ ، ٣٢ “ .

٣ — وحين يستشعر المسيح الخطر ، فإنه يفزع ويرتاع وتقرب به المحنة من
حافة اليأس فيصرخ إلى الله طالبا النجاة وحفظ نفسه من القتل :

” خوف ورعدة أتيا على ، وغشيني رعب . فقلت ليت لي جناحا
كالحمامة فأطير واستريح — ٥٥ : ٥ — ٦ “ .

” عظامى قد رجفت ونفسى قد ارتاعت جدا .

وأنت يارب فحتى متى . نج نفسى . خلصنى من أجل رحمتك لأنه
ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمذك — ٦ : ٥٢ “ .

” ارحمنى يارب . انظر مذلتى من مبغضى ، يارافعى من أبواب
الموت — ٩ : ١٣ “ .

” انظر واستجب لى يارب إلهى . أتر عيني لثلا أنام نوم الموت .
— ١٣ : ٣ “ .

” بذبيحة وتقدمة لم تُسر .. مُحرقَة وذبيحة خطية لم تطلب —
٤٠ : ٦ “ .

” ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة . هل يحمذك التراب .
هل يخبر بحقك . استمع يارب وارحمنى . يارب كن معيناً لى — ٣٠ :
٩ — ١٠ “ .

” استمع يارب . بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى ..

لا تسلمنى إلى مَرام مضايقيّ — ٢٧ : ٧ ، ١٢ “ .

” أقض لى حسب عدلك ، يارب إلهى فلا يشمتوا بى . لا يقولوا
فى قلوبهم هه شهوتنا . لا يقولوا قد ابتلعناه — ٣٥ : ٢٤ — ٢٥ “ .

٤ — ثم يدعو المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك :
” ليقف شيطان عن يمينه . إذا حوكم فليخرج مذنباً . وصلاته
فلتكن خطية .

لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر .
ليكن بنوه أيتاما وإمرأته أرملة ..
لتنقرض ذريته فى الجيل القادم ليمح اسمهم ..
من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً ،
والمنسحق القلب ليميته — ١٠٩ : ٦ — ١٦ “ .

” قم يارب . تقدّمه . أصرعه . نج نفسى من الشرير بسيفك —
١٧ : ١٣ “ .

٥ — ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة ففشل المؤامرة ويحفظ الله عليه
حياته :

” فى يوم الشر ينجيه الرب .
الرب يحفظه ويُحييه . يغتبط فى الأرض ولا يُسلمه إلى مَرام أعدائه —
٤١ : ١ — ٢ “ .

” الرب أبطل مؤامرة الأمم . لاشئ أفكار الشعوب . أما مؤامرة
الرب فألى الأبد تثبت — ٣٣ : ١٠ — ١١ “ .

” عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام
وجهك . لأنك أقمت حقى ودعواى . جلست على الكرسي قاضيا
عادلا . انتهرت الأمم — ٩ : ٣ — ٥ “ .

” حينئذ تترد أعدائي إلى الوراء فى يوم أدعوك فيه . هذا قد علمته لأن الله لى .. شكر لك ، لأنك قد نجيت نفسى من الموت — ٥٦ : ١٣ “ .

” الآن عرفت أن الرب مُخَلَّصُ مسيحه يستجيه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه — ٢٠ : ٦ “ .

” تصيب يدك جميع أعدائك .. لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها — ٢١ : ٨ ، ١١ “ .

” من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب .. وانا سارى بأعدائي .. لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب .. إلى الموت لم يسلمنى — ١١٨ : ٥ — ١٨ “ .

« حياة سألك فأعطيته ، طول الأيام إلى الدهر والأبد — ٢١ : ٤ » .

٦ — كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتقلب عليه مؤامره ، ويتجرع ذات الكأس التى شارك فى تجهيزها لمعلمه :
” سدد نحوه آلة الموت .

هوذا يمحض بالإثم .. كَرَّاجِبًا . حفره فسقط فى الهوة التى صنع .
يرجع تبعه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه — ٧ : ١٣ — ١٦ “ .

هياؤا شبكة لخطواتى .. حفروا قدامى حفرة . سقطوا فى وسطها — ٥٧ : ٦ “ .

” الرب قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه — ٩ : ١٦ “ .

” سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر — ٣٧ : ١٥ “ .

٧ — وتكون وسيلة نجاة المسيح من القتل أمرا عجبا ، إذ يرفعه الله إلى السماء

فلا يمسسه السوء :

” يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك لأنه تعلّق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمى — ٩١ : ١١ — ١٤ “ .

” اصرخ إلى الله العلى ، إلى الله المحامى عنى . يرسل من السماء ويخلصنى — ٥٧ : ٢ — ٣ “ .

” يخبئنى فى مظلمته فى يوم الشر . يسترنى بستر خيمته . على صخرة يرفعنى — ٢٧ : ٥ “ .

” لم تحبسنى فى يد العدو ، بل أقمت فى الرحب رجلى .. مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً ، رحمته لى فى مدينة محصنة — ٣١ : ٨ ، ٢١ “ .

هذا — وإذا جمعنا تلك العناصر السبعة التى تشتمل عليها تنبؤات المزامير وقرأناها بتسلسلها لكانت كالآتى :

يتآمر الكهنوت اليهودى على المسيح لقتله والتخلص منه ، ويستخدم المتآمرون عميلاً من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن .

وحين يستشعر المسيح الخطر ، فإنه يفرع ويرتاع وتقرب به المحنة من حافة اليأس فيصرخ إلى الله طالبا النجاة وحفظ نفسه من القتل ، ثم يدعو المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك .

ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ عليه حياته ، كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتقلب عليه مؤامرتة ويتجرع ذات الكأس التى شارك فى تجهيزها لمعلمه .

وتكون الوسيلة التى نجا بها المسيح من القتل أمراً عجيباً ، إذ يرفعه الله إلى السماء فلا يمسسه السوء .

تلك هي الحقيقة من المزامير وهي الحقيقة التي يجدها كل من يقرأ
المزامير ، واضحة كل الوضوح لا لبس فيها ولا غموض .

حقاً نقول : لقد تنبأت المزامير بنجاة المسيح من القتل والصلب .

وتنبأت المزامير بهلاك يهوذا .

هلاكا وسيلته ” آلة الموت “ أو بالأحرى خشبة الصليب ، لأنه

بسببها يلبس اللعنة والعار والخزي والبوار .

المسيح فى الأناجيل

١ - نسب المسيح

يقول انجيل متى فى ولادة المسيح : ” أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا (جنسيا) وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان بارا لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . وفيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ امرأتك مريم لأن الذى جبل به فيها هو من الروح القدس .

فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته . ولم يعرفها (يعاشرها معاشرة الأزواج) حتى ولدت ابنها البكر — ١ : ١٨ — ٢٥ “ .

ويقول جورج كيرد فى تفسيره لانجيل لوقا ، فيما يتعلق باعتبار يوسف أبا للمسيح : ” إن يوسف يشار إليه دائما باعتباره أبا ليسوع . وعن طريق يوسف انحدر يسوع من نسل داود ..

لقد تعود اليهود على فكرة الأبوة الشرعية ، إذ أن التشريع العجيب

(المذكور في سفر التثنية ٢٥ : ٥ - ٦) والذي يُجبر أخا المتوفى من غير ذرية على الزواج من أرملة أخيه ، كان يقضى بأن يرد النسب الشرعى للطفل (المولود نتيجة لهذا الزواج) إلى زوج أمه الأول (المتوفى) ، بدلا من نسبه إلى أبيه الحقيقى (وهو زوجها الثانى) ، “ (١) .

فلقد كانت مريم تقول لابنها أن يوسف أبوه ، حسب فكرة الأبوة الشرعية . فقد ذكر لوقا في انجيله حادثة فقد المسيح فى زحمة العيد وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة فقال : ” كان أبواه (يوسف ومريم) يذهبان كل سنة إلى اورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى اورشليم كعادة العيد . وبعدما اكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى اورشليم ويوسف وأمه لم يعلما .. وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل .. وقالت له أمه . يابنى ! لماذا فعلت بنا هكذا ؟! هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين - ٢ : ٤١ - ٤٨ “ .

لقد جاء الحديث عن نسب المسيح - باعتباره ابنا ليوسف النجار - فى انجيلين : متى ولوقا . وبمقارنة ما ذكره متى فى الإصحاح الأول وما ذكره لوقا فى الإصحاح الثالث يلاحظ على الفور اختلافهما كالآتى :

١ - ظن متى أن المسيح جاء من نسل سليمان بن داود فقال :
” داود الملك ولد سليمان .. وسليمان ولد رحبعام
ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح - ١ : ٦ - ١٦ “ بينما ظن لوقا أن
المسيح جاء من نسل ابن آخر لداود يدعى ناثان ، إذ قال :
” ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة . وهو على ما

كان يُظن ابن يوسف بن هالي بن ماثات ... بن نااثان
بن داود — ٣ : ٢٣ — ٣١ . لقد كان لداود أبناء كثيرون
من زوجاته الكثيرات تذكر لنا منهم الأسفار : ” بكره أمنون
من أخينوع .. وثانية كيلاب من أبيجاييل .. والثالث
أبشالوم .. والرابع أدونيا .. والخامس شفتيا .. والسادس
يشرعام من عجلة امرأة داود . هؤلاء ولدوا في حبرون —
صموئيل الثاني ٣ : ٢ — ٥ “ .

” وهؤلاء ولدوا له في أورشليم : شمعي ، وشوباب ،
وناثان ، وسليمان ... ويجار ، واليشامع ، واليفاط ، ونوجه ،
ونافج ، ويافيع ، واليشمع ، والياداع ، واليفلط ، أخبار الأيام
الأول ٣ : ١ — ٨ “ .

٢ — ولقد ترتب على اختلاف متى ولوقا في ابن داود الذي
انحدر منه يوسف النجار ، أن اختلفت سلسلة النسب عند
كل منهما . فعلى حسب متى كان يوسف ابن يعقوب ،
وعلى حسب لوقا كان يوسف ابن هالي .

٣ — اختلف مجموع الأجيال من داود إلى يوسف ، فعلى حسب
متى كان ٢٧ جيلا ، بينما حسب لوقا كان ٤٢ جيلا . هذا
بالإضافة إلى اختلاف متى مع ما جاء في سفر أخبار الأيام
الأول (الاصحاح الثالث) فيما يتعلق بتسلسل ذرية سليمان .

*

وإذا نظرنا في سلسلة النسب التي ذكرها متى ، نجد أنها تضم عددا
من الزناة وأبناء الزنا ، بل ومومسا مشهورة جاء ذكرها في سفر يشوع ،
ويبين الجدول السابق أسماء هؤلاء الخطاة ، والذين يمكن قراءة قصصهم
في أسفار العهد القديم كآلاتي :

يهوذا وفارص وثامار : جاء فارص من زنى يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه المتوفي والتي تدعى ثامار حسبما جاء في سفر التكوين ٣٨ : ١٣ — ٢٩

راحاب الزانية : سفر يشوع ٢ : ١ ، ٦ : ١٧

راعوث المואية : جاء موب من زنى لوط (المزعوم) بابنته البكر حسب سفر التكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨ ، وراعوث موابية حسب سفر راعوث ١ : ١ — ٤ ، ٤ : ١٣ — ٢٢ وتحرم توراة موسى دخول الموابيين وأبناء الزنا فى جماعة الرب (المقدسة) حتى الجيل العاشر كما فى سفر التثنية ٢٣ : ٢ — ٣ .

داود وامرأة أوريا : سفر صموئيل الثانى ١١ : ١ — ٢٧ .

تدنيس نسب المسيح الطاهر

العصر الأول	العصر الثاني	العصر الثالث
١ ابراهيم	١ سليمان (من التي لأوريا) ^(١)	١ شأئيل
٢ اسحق	٢ رَجَعَام	٢ زَرْبَابِل
٣ يعقوب	٣ أبيا	٣ أبيهود
٤ يهوذا ^(١) (وَلَدَ)	٤ آسا	٤ ألياقيم
٥ فارص ^(٢) (وزارح من ثامار) ^(١)	٥ يهوشافاط	٥ عازور
٦ حصرون	٦ يورام	٦ صادق
٧ أرام	٧ عَزُّيا	٧ أخيم
٨ عمينا داب	٨ يوثام	٨ أليود
٩ نحشون	٩ أحاز	٩ أليعازر
١٠ سلمون (وَلَدَ)	١٠ جَزَقِيَا	١٠ مَثَان
١١ بوغز (من راحاب) ^(٣)	١١ مَنَسَّى	١١ يعقوب (وَلَدَ)
١٢ عوبيد (من راعوث) ^(٢)	١٢ آمون	١٢ يوسف (رجل مريم التي ولد منها)
١٣ يَسَّى	١٣ يوشا (وَلَدَ)	١٣ يسوع (الذي يدعى المسيح)
١٤ داود ^(١) (وَلَدَ)	١٤ يكنيا (واخوته عند سبى بابل)	١٤

يقول متى في إنجيله : ” فجميع الأجيال : من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا : ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا — ١٧ : ١ “ .

ويقول جون فنتون : ” يشير متى إلى أنه في كل من العصور الثلاثة يوجد أربعة عشر جيلا ، رغم أنه في الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر اسما في العصر الأخير “ .

(تفسير إنجيل متى ، ص ٤٠)

*

الرموز والمصطلحات :

(٣) مومس

(٢) ابن زنا

(١) من الزناة

حقيقة نسب المسيح :

لقد تحدثت الأنجيل — بل ومريم أيضا — عن المسيح باعتباره :
ابن يوسف النجار . وتحدثت عنه الأنجيل باعتباره : ابن الله !
فهل يتفق هذا والفهم والعقل الذى دعت إليه الأسفار المقدسة ، بعد
أن عابت على الأغبياء عديمى البصيرة ؟!

ولقد رأينا كيف أدى الإصرار على نسب المسيح ليوسف ، من
منطلق ما سمي بالأبوة الشرعية ، وجعل يوسف ينحدر من نسل داود
الملك ، ثم مخاطبة المسيح في الأنجيل بقولهم : يا سيد يا ابن داود ،
ان احتوت سلسلة النسب هذه على عدد من الزناة !

أما كان الأولى — وهو الحق الذى لا مرية فيه على الإطلاق — أن
ينسب المسيح لأمه الطاهرة البتول التى اصطفاها الله — سبحانه — على
نساء العالمين ، فيقال : المسيح ابن مريم ؟

ولقد عرف بين الإسرائيليين من انتسب لأمه ، وكان من كبار القوم ،
مثل يوباب بن صروية قائد جيش داود (سفر صموئيل الثانى ٨ : ١٦)
وكان داود يخشى بنو صروية فى أول حكمه إذ قال : ” أنا اليوم
ضعيف وممسوح ملكا ، وهؤلاء الرجال بنو صروية أقوى منى —
صموئيل الثانى ٣ : ٣٩ “ . وكانت صروية هذه أختا لداود : ” يسى
ولد بكره أليآب ، وأبينا داب الثانى ... وداود السابع . وأختاهم :
صروية وأبيجايل . وبنو صروية : ابشاي ويوباب وعسائيل ، ثلاثة .
وابيجايل ولدت عماسا — اخبار الايام الأول ٢ : ١٣ — ١٧ “ .

ومن المؤكد أن مريم تحيىء من نسل هارون . فقد كانت قريبة لامرأة

زكريا التى كانت ” من بنات هارون واسمها اليصابات — لوقا ١ :
٥ “ وقد قال الملاك لمريم حين جاء يبشرها قبل الحمل : ” هوذا
اليصابات نسيتك (قريبتك) هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها .. لأنه
ليس شئ غير ممكن لدى الله — لوقا ١ : ٣٦ — ٣٧ “ .

ولقد كان هذا هو ما قرره ويلز استاذ التاريخ بجامعة لندن فى كتابه :
يسوع المسيحين الأوائل ^(١) .

ويقال فى العريية : ” أخو تميم ، أى واحد منهم . وأخو الصدق ،
أى ملازم له “ ، ومثله : يا أخا العرب ، أى يا ابن العرب .

فحق لمريم — إذن — أن تنسب إلى هارون الذى كان أول من
اختص هو وبنيه من بين بنى إسرائيل بالكهانة والحفاظ على الشريعة
(سفر الخروج ٢٨ : ١) ، وقد اقتصر على سبط لاوى وهو واحد
منهم . ومن الجدير بالذكر أنه كان فى بدء ظهور المسيحية انجيل
ينسب لمتى ويعرف باسم : انجيل ميلاد مريم ، وقد قبله عدد من
الطوائف المسيحية باعتباره أصيلاً وقانونياً . وقد أشار إليه جيروم —
أحد آباء الكنيسة الكبار الذى عاش فى القرن الرابع . ” ومن هذا
الانجيل حاول العالم البريطانى فاوستس — الذى أصبح فيما بعد أسقف
ريز — أن يثبت أن المسيح لم يكن من بيت داود ومن سبط يهوذا ،
لأنه حسب ذلك الإنجيل لم تكن العذراء من سبط يهوذا وإنما كانت
من سبط لاوى ، وإن أباه كان كاهناً “ ، ^(٢) .

وعلى ضوء ما سبق ، نفهم لماذا قال قوم مريم لها ، عندما أتهم
تحمّل وليدها : ﴿ يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ

(١) - G. wells: The Jesus of The Early Christions, London, 1971, p. 12

(٢) - The Lost Books of The Bible, published by : Forum Books New york, P. 17

وإن نسبة المسيح إلى أمه ، بأن يقال : المسيح ابن مريم ، لهو القول الحق الذى لا مرأى فيه ، وهو الوسيلة الوحيدة لتخليص نسب المسيح الطاهر مما علق به من أذى ، وحل مشكلة الخلاف بين انجيلي متى ولوقا حول سلسلة نسب المسيح ^(١) .

(١) من أراد المزيد فليراجع كتاب المؤلف : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .

٢ - أسماء التلاميذ

٢٠	متى ، ومرقس	لوقا
(١٠ : ٢ - ٤) (٣ : ١٦ - ١٩)		(١٦ - ١٤ : ٦)
١ سمعان ، الذي يقال له بطرس	سمعان ، الذي سمّاه أيضا بطرس	
٢ أندراوس ، أخوه	أندراوس ، أخاه	
٣ يعقوب بن زبدي	يعقوب	
٤ يوحنا ، أخوه	يوحنا	
٥ فيلبس	فيلبس	
٦ برثولماوس	برثولماوس	
٧ توما	توما	
٨ متى العشار	متى	
٩ يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى	
١٠ ثبّاوس الملقب تداوس	يهوذا أخا يعقوب	
١١ سمعان القانوني	سمعان ، الذي يدعى الفنيور	
١٢ يهوذا الاسخريوطي (الخائن)	يهوذا الاسخريوطي	

يقول جورج كيرد : " عندما كُتب الإنجيل ، لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ . إن يهوذا بن يعقوب لا يظهر في القائمة المذكورة في إنجيل كل من مرقس ومتى ، بينما شغل مكانه لبّاوس الملقب تداوس " . (تفسير إنجيل لوقا ، ص ١٠١)

ويذكر إنجيل يوحنا أسماء بعض التلاميذ من بينهم يهوذا آخر غير الخائن وهو الذي يقول عنه : " يهوذا ليس الاسخريوطي — ١٤ : ٢٢ " .

وتجدر الإشارة إلى أن يهوذا أخا يعقوب المذكور في ترجمة البروتستانت قد ذكرته ترجمة الكاثوليك المأخوذة عن الترجمة المسكونية باسم : يهوذا بن يعقوب (منشورات دار المشرق) !

٣ - المسيح يلعن شجرة تين !

مرقس (١١ : ١٢ - ٢١)	اليوم	متى (٢١ : ١٢ - ٢١)
في الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع . فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله وجد فيها شيئا ، فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا . لأنه لم يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد . وكان تلاميذه يسمعون . وجاءوا إلى أورشليم . ولما دخل يسوع الهيكل ابتداء يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام .. ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة .	الأول (الاثنين)	ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام .. ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك .
وفي الصباح إذ كانوا مجتازين ، رأوا التينة قد ييست من الأصول . فتذكر بطرس وقال له : يا سيدي انظر . التينة التي لعنتها قد ييست .	الثاني (الثلاثاء) R.S.V.	وفي الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فייست التينة في الحال فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف ييست التينة في الحال . فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون .

يقول جون فنتون : ” نجد في إنجيل مرقس أن يسوع يبحث عن ثمر في الشجرة ، ويلعنها في نفس اليوم ، ثم يلفت بطرس نظر يسوع إلى جفافها في اليوم التالي . لكنه نتيجة لما قام به متى من إعادة ترتيب الرواية ، فإن جميع أحداثها تقع في نفس اليوم “ . (تفسير إنجيل متى : ص ٣٣٦) .

✱

تحديد يومى الاثنين والثلاثاء جاء حسب الترجمة الانجليزية القياسية المراجعة والتي تعرف اختصارا : R.S.V. ولا يهم هذا التحديد في شيء ، إذ يكفي أن يقال : اليوم الأول ، واليوم الثاني .

✱

ويقول المسيح في موعظة الجبل : ” أحبوا أعداءكم . باركوا لأعينكم . أحسنوا إلى بعضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم “ (متى ٥ : ٤٤) ، لكنه هنا يلعن شجرة تين مسكينة لم يجد فيها ثمراً ” لأنه لم يكن وقت التين “ . وهذا بعض ما فعله كتبة الأناجيل بالمسيح !

✱

إن كاتب هذه السطور يرى المسيح من هذا الموقف وأمثاله ، فالصورة الذهنية التي انطبعت عنده من القرآن عن المسيح تجعله أكبر من ذلك بكثير .

✱ ✱

٤ — تنبؤات باطلة !

□ نهاية العالم تحدث في القرن الأول الميلادى !

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل — وعلى رأسهم تلاميذ المسيح — أن نهاية العالم وشيكة الحدوث ، وأن كثيرا من الذين عاشوا فى القرن الأول للميلاد وعاصروا المسيح سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة التى يعقبها عودة المسيح ثانية إلى الأرض حيث تكون القيامة ويدان الناس أجمعون فيذهب فريق إلى الجنة والباقي إلى السعير . لقد قرر ذلك صراحة كتبة الأناجيل المتشابهة : متى ومرقس ولوقا . كما أن بولس كان يعتقد أنه سيبقى حيا لحين عودة المسيح ، فكتب يقول : ” إنا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب (يسوع) لا نسبق الراقدين (الأموات) . لأن الرب نفسه سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم لملاقاة الرب فى الهواء (١) تسالونيكى — ٤ : ١٥ — ١٧ “.

يقول وليم باركلى تعليقا على هذه الفقرة : ” عندما كتب بولس هذا ، فمن الواضح أن كان يتوقع حدوث المجيء الثانى للمسيح أثناء حياته وحياة أولئك الذين كان يكتب لهم . وهو يكتب فى الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى ٥ : ٢٣ أنه يصلى لله لكى ” تحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء الرب يسوع المسيح “ . إن الشيء ذا المغزى الخطير هنا هو ذكر الجسد . فمن الواضح —

إذن — توقع بقائهم فى الجسد عند عودة المسيح ، أى أنه توقع عودة المسيح أثناء حياتهم وحياته “ (١) .

أما انجيل يوحنا فقد كان هو الوحيد الذى تجنب هذا المأزق الخطير لأن هذا الإنجيل كتب فى مطلع القرن الثانى بعد أن تبين للناس عدم عودة المسيح سريعا إلى الأرض .

علامات المجيء الثانى للمسيح :

” تكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم .. قوات السماء تتزعزع . وحينئذ يصرون ابن الإنسان (المسيح) آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير “ (لوقا ٢١ : ٢٥ — ٢٧) .

لقد تنبأ المسيح أن ذلك سوف يحدث :

(١) قبل أن يكمل تلاميذه التبشير فى مدن إسرائيل !

” هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات .. إن الحق أقول لكم : لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان “ (متى ١٠ : ٥ — ٧ ، ٢٣) .

(٢) قبل أن يموت بعض الذين وقفوا أمامه واستمعوا إليه !

” الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قوم لا ينوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته “ (متى ١٦ : ٨ ؛ مرقس ٩ : ١ ؛ لوقا ٩ : ٢٧) .

(٣) قبل أن يفنى الجيل الذى عاصر المسيح !

” فيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا وما علامة مجيئك وانقضاء الدهر . فأجاب يسوع وقال .. للوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء .. ويصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير .. الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله “ (متى ٢٤ : ٣ ، ٢٩ — ٣٤ ؛ مرقس ١٣ : ٣ ، ٢٤ — ٣٠ ؛ لوقا ٢١ : ٧ ، ٢٥ — ٣٢) .

● تقول دائرة المعارف البريطانية تعليقا على تنبؤات الأناجيل :
” ان الاعتقاد فى المجيء الثانى للمسيح كان دائما هو المعتقد الشرعى للمسيحيين وبالرغم من ذلك فإن نهاية العالم لم تحدث . وحتى لو حدثت الآن فإنها لن تكون تحقيقا لما هو مكتوب فى العهد الجديد ، لأن ما كان منتظرا هو النهاية الوشيكة للعالم “ (طبعة ١٩٦٠ — ج ٢ — ص ٥٢٣) .

□ المسيح يدفن فى الأرض : ثلاثة أيام وثلاث ليال !

” أجاب قوم من الكتبة والفرنسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تعطى له الا آية يونان النبى . لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال “ (متى ١٢ : ٣٨ — ٤٠) .

ويزعم كتبة الأناجيل أن يسوع صلب يوم الجمعة ، ثم أنزل من على الصليب قبل الغروب ووضع فى قبر . وفجر الأحد اكتشفت ” مريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين — مرقس ١٦ : ٩ “ ،

أن القبر خال من أى جسد . وبذلك لا تتعدى المدة التى قضاها ذلك الميت فى القبر : يوما واحدا ، وليلتين ، على أكثر تقدير .

❦ وتقول التوراة للتمييز بين النبي الصادق والنبي الكاذب :
” إن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب :
فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى
لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي ، فلا تخف منه “ (تثنية
١٨ : ٢١ — ٢٢) .

” أما النبي الذى يطفى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم
به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبي “ (تثنية
١٨ : ٢٠) .

وكان هذا بعض ما فعله كتبة الأناجيل بالمسيح ^(١) !!

(١) لمزيد من التفاصيل حول الملاحق من رقم (٢) إلى رقم (٧) راجع كتاب المؤلف : المسيح فى مصادر القصائد المسيحية .

٥ — من أقوال المسيح وتعاليمه

(١) المسيح لم يأت من أجل السلام على الأرض !

فهكذا قال المسيح :

” لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى سلاما بل سيفا — متى ١٠ : ٣٤ “ .

” جئت لألقى نارا على الأرض ، فماذا أريد : لو اضطرمت !
اتظنون أنى جئت لأعطي سلاما على الأرض ؟! كلا ، أقول لكم ، بل انقساما — لوقا ١٢ : ٤٩ — ٥١ “ .

فهل يتفق هذا مع لقب « أمير السلام » الذى يعطى للمسيح ، اقتباسا من فقرة من أشعيا ٩ : ٦ ، والتى تستخدم كنبوءة عنه ؟ .

وهل يتفق هذا مع دعاء الملائكة بالسلام على الأرض يوم مولد المسيح ، إذ ” هذا ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : المجد لله فى الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة “ كما ذكر لوقا فى انجيله ٢ : ١٣ ؟! .

(٢) تعاليم التسامح المثالى غير قابلة للتطبيق

لقد قال المسيح — فى موعظة الجبل — كثيرا من تعاليم التسامح المثالى ، مثل : ” سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ^(١) . وأما أنا

(١) ورد هذا فى أسفار موسى : خروج ٢١ : ٢٤ ؛ لاويين ٢٤ : ٢٠ ؛ تثنية

فأقول لكم : لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الايمن ،
فحول له الآخر أيضا — متى ٥ : ٣٨ — ٣٩ “ .

وعندما ننظر فى إمكانية تطبيق مثل هذا التسامح المثالى الجميل
حقا ، نجد الانجيل يظهر لنا المسيح وقد نقض هذا التعليم . فها هو
كاتب انجيل يوحنا يقول : ” سأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه
وعن تعليمه . اجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية .. وفى الخفاء لم
أتكلم بشيء . لماذا تسألنى أنا ؟! اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ..
ولما قال هذا ، لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا
تجاوب رئيس الكهنة ؟! .

أجابه يسوع : ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى ، وان
حسنا فلماذا تضربنى ؟! — ١٨ : ٢٣ “ .

وهكذا لم يدر له المسيح خده الآخر ، حسب تعليمه الذى دعا
الناس إلى العمل به ! .

ولقد رأينا سلفا — فى الموضوع رقم (٣) من هذا الملحق — كيف انهارت
القاعدة الذهبية الجميلة التى تقول : ” أحبوا أعداءكم .. باركوا لاعينكم “ ،
عندما ” جاع المسيح فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء
لعله يجد فيها شيئا ، فلم جاء اليها لم يجد شيئا إلا ورقا ، لأنه لم يكن
وقت التين “ فاغتاظ جدا لدرجة أنه لعنها ، إذ دعا عليها قائلا : لا
يأكل أحد منك ثمرا بعد الى الأبد “ . وما كان لهذه الشجرة من
ذنوب ، إذ لم يكن وقت التين . ولا نظن أحدا يمارى فى أنه لو دعا
لها المسيح بأن تثمر ، فأثمرت — بدلا من أن يدعو عليها — لكان
ذلك خيرا وأفضل .

ويلفت ج. ويلز — استاذ التاريخ بجامعة لندن — النظر إلى عدم

التزام المسيح بتعاليمه الاخلاقية ^(١) مثل قوله : ” من قال : يا أحق ، يكون مستوجب نار جهنم — متى ٥ : ٢٢ “ .

إذ أن الأناجيل تظهر لنا المسيح وهو يشتم الكثيرين !
” أيها الحيات ، أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم — متى ٢٣ : ٣٣ “ وقد شتم تلاميذه ، إذ قال لبطرس : ” اذهب عني يا شيطان ! — متى ١٦ : ٢٣ “ وشتم آخرين منهم : ” أيها الغيبان والبطيخا القلوب فى الإيمان ! لوقا ٢٤ : ٢٥ “ ، بل انه شتم أحد الذين استضافوه ليتغدى عنده ، شتمه فى بيته : ” سألوه فريسي أن يتغدى عنده . فدخل واتكأ . وأما الفريسي فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء فقال له الرب : انتم الآن أيها الفرنسيون تنقون خارج الكأس وأما باطنكم فمملوء اختطافا وخبثا . يا أغبياء !.. ويل لكم أيها الفريسيون !.. فأجاب واحد من الناموسيين وقال له : يا معلم ، حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا . فقال : وويل لكم أنتم أيها الناموسيون ! — لوقا ١١ : ٣٧ — ٤٦ “ .

(٣) تعاليم المسيح حول اليتامى

لا شيء على الإطلاق !...
لم تذكر الأناجيل الأربعة تعليما محددا للمسيح عن اليتامى ، تلك الطائفة التعسة بين البشر من أطفال وأولاد وبنات !
فلا نجد شيئا مثل قول الحق فى القرآن :

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَتَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۚ إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۖ ﴾ .
[سورة الإنسان : ٨ — ٩] .

- G. Wells: The Jesus of The Early Christians, pp. 69 - 71

(١)

﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ
وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْظَلِيلِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ
كَانَ حُبًّا كَبِيرًا ﴾ ﴿٦﴾

﴿ وَابْنُلُوا ۖ
الْيَتَامَىٰ حَقَّ ۖ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ﴿٦﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ ﴿٧﴾

• [سورة النساء]

الملحق رقم (٨)

بولس

بولس يهوديا :

اشتهر بولس بتعصبه ليهوديته ومشاركته في اضطهاد المسيحيين وقتلهم والسطو على الكنيسة . ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين قتلوا استفانوس — أول شهيد في المسيحية — قد ” خلعوا ثيابهم عند رجلى شاب يقال له شاول (بولس) وكان شاول راضيا بقتله — ٧ : ٥٨ ، ٨ : ١ “ .

” وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن — أعمال الرسل ٨ : ٣ “ .

بولس مسيحيا :

بعد رحيل المسيح بنحو ست سنين أعلن بولس فجأة أنه قد أصبح رسولا للمسيح أثر حادثة قال أنها وقعت له على طريق الذهاب إلى دمشق . ولما كانت هذه الحادثة تعتبر الأساس الوحيد الذي بنى عليه بولس إعلانه قبول المسيحية ، ثم اختياره رسولا من المسيح للتبشير بها ، كان من اللازم تمحيصها حتى نتبين حقيقة الأمر .

لقد ذكر سفر أعمال الرسل قصة تحول بولس إلى المسيحية في ثلاثة إصحاحات هي : التاسع ، والثاني والعشرين ، والسادس والعشرين . يقول الإصحاح التاسع : ” في ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة

أبرق حوله نور من السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له :
شاوول ، شاوول ، لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال
الرب : أنا يسوع الذي تضطهده ..

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : يسمعون الصوت ،
ولا ينظرون أحداً — أعمال ٩ : ٣ — ٧ “ .

أما الإصحاح الثاني والعشرون فيقول : ” فأجبت : من أنت
يا سيد ؟ فقال لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده .

والذين كانوا معي : نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا
صوت الذي كلمني أعمال ٢٢ : ٨ — ٩ “ .

وبمقارنة هاتين القصتين مع التركيز على الكلمات : (١) المكتوبة
بالبنط الأسود ، (٢) الكلمات التي تحتها خط مستمر ، (٣) الكلمات التي
تحتها خط متقطع ، يسهل تقرير الآتي :

(١) في الإصحاح التاسع ، قال المتحدث : أنا يسوع (وهو نفسه ما جاء
في الإصحاح السادس والعشرين) ، أما في الإصحاح الثاني
والعشرين : فقد قال : أنا يسوع الناصري .

(٢) في الإصحاح التاسع : نجد أن المسافرين معه سمعوا الصوت ، أما
في الإصحاح الثاني والعشرين : فلم يسمعوا الصوت .

(٣) في الإصحاح التاسع : نجد أن المسافرين معه لم ينظروا أحداً ، أما
في الإصحاح الثاني والعشرين : فقد نظروا النور .

من الواضح — إذن — أن هاتين القصتين المتناقضتين تثيران الشكوك
في حقيقة تحول بولس إلى المسيحية . ومما يزيد هذه الشكوك
أن الروايات الثلاث التي ذكرت رؤيته النهارية على طريق دمشق ،
قد اتفقت على أن المتحدث قال له : أنا يسوع (في روايتين ، وفي

ثالثة : أنا يسوع الناصري) ، فكان الواجب الذي لا مفر منه أن يبدأ بولس مسيحيته بالدعوة إلى الإيمان بيسوع الناصري ، إلا أنه بدلا من ذلك كان أول ما بدأ به هو الدعوة إلى الإيمان : يسوع ابن الله ! .

فها هو الإصحاح التاسع — الذي ذكر القصة الأولى — يقول عن بدء النشاط التبشيري لبولس : ” ولوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله — أعمال ٩ : ٢٠ “ .

لقد كان هذا أول معتقد أدخله بولس في مسيحته التي بدأ يبشر بها . ولقد كانت رسائله التي بدأ كتابتها قبل أقدم الأناجيل — إنجيل مرقس — بأكثر من خمسة عشر عاما ، هي المصدر الكتابي الذي تسربت منه . تقول الترجمة الفرنسية المسكونية في مدخل إلى العهد الجديد ، تحت عنوان : بعض النظرات إلى العالم اليوناني الروماني : ” أخذ الناس ، قبل العهد المسيحي بقليل ، ينظرون إلى الأباطرة نظرهم إلى كائنات إلهية ، أبناء الله ، بل آلهة . وهذا التطور ، وقد أثرت فيه تأثيرا كبيرا معتقدات الشعوب الشرقية (مصر وفارس) موافق لمنطق الأمور ..

وتشمل الحفلات (الدينية) صلوات طقسية (دعاء ودعوة الإله إلى الذبيحة وطلب للخيرات ، وذبائح ينظرون إليها نظرهم إلى هدايا تهدي للإله) .. وقد ساعد اختلاط الأفكار والناس على نشر عبادات أصلها شرقي .. نذكر عبادات إيزيس ، وفيها اختبارات متتابعة تصحب التلقين وتسير بالإنسان إلى الاندماج في أوزيريس الإله الذي مات ، فأعادته أساليب إيزيس السحرية إلى الحياة . فقد كانوا يعلنون أنها تحتوي ضمانا للخلود “ (١) .

(١) العهد الجديد — منشورات دار الشرق — ص ١٥ — ١٦ .

” وهكذا ، شاع في العالم اليوناني الروماني ، قبل العصر المسيحي بقليل ، عدد من الأفكار الوثنية مثل : إطلاق اسم : ابن الله ، على كبار الشخصيات وصانعي الأعاجيب . وكذلك شاعت فيه ديانات الطقوس السرية التي تقوم على الإندماج في الإله من خلال الزعم بأكل لحمه وشرب دمه في احتفال طقسي تكتنفه الأسرار ، ومن ثم يحصل العابد على الخلود الذي يتمتع به المعبود . ولقد اقتبس بولس هذه الأفكار وتأثر بها وسجلها في رسائله ، وعنه أخذ كتبة الأناجيل . .

يقول هيام ماكوبي في كتابه : صانع الأسطورة : ” أين نجد أول تعبير عن الفكرة التي تقول أن يسوع قد سن طقس القربان المقدس كشعيرة دائمة في الكنيسة المسيحية ؟

إن أول تأكيد لهذا نجده في رسائل بولس ، والتي نجد فيها أيضا أول إشارة إلى فكرة القربان المقدس ، أي الفكرة التي تقول بوجود قوة للخلاص في جسد المسيح ودمه . فهو يقول :

” لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم . اصنعوا هذا لذكري . كذلك الكأس أيضا بعدما تعشوا قائلاً : هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي . أصنعوا هذا كلما شربتم لذكري .. (١ - كورنثوس ١١ : ٢٣ - ٣٠) “ .

فمن هذه الفقرة يتضح تماما أن بولس هو مخترع القربان المقدس كفكرة وكسنة راسخة الجذور . فهو يقول بكل وضوح أن هذا القربان قد تأسس بناء على وحي تلقاه شخصا ، إذ يقول : لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم “ (١) .

وهكذا ، أدخل بولس إلى مسيحيته التي بدأ ييشر بها فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه ، ممثلاً في خبز وخمر ، قربانا مقدسا — يجلب الخلاص لمعتقي هذه الفكرة !

بولس وتلاميذ المسيح

” لما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل — أعمال ٩ : ٢٦ — ٢٧ “ .

لكن بولس لم يلبث أن أنقلب على برنابا ، كما انقلب على غيره من التلاميذ . فقد ” حصل بينهما (بولس وبرنابا) مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر . وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس . وأما بولس فاختار سيلا .. فاجتازا في سورية — أعمال ١٥ : ٣٩ — ٤١ “ .

ولقد استجوبته كنيسة أورشليم — وهي مجمع رسل المسيح ، وكان أول أساقفتها يعقوب الصغير الذي ذكره متى في عداد أخوة المسيح وهم : ” يعقوب ، ويوسى ، وسمعان ، ويهوذا — ١٣ — ٥٥ “ ، وقد سماه بولس : ” يعقوب أخا الرب — غلاطية ١ : ١٩ “ — فقد كان هناك شكوى ضد بولس أمام مشايخ أورشليم من أنه ” يعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الإرتداد عن موسى قائلاً أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد — أعمال ٢١ : ٢٠ — ٢١ “ .

ولقد حفظ بولس هذا الموقف في نفسه ، فطفق يكرر في رسائله أنه ليس أقل من أعظم رسل المسيح وتلاميذه الذين عاشروه وتعلموا عليه : ” ليتكم تحتملون غباوتي قليلاً .. لأني أحسب أنني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل — (٢) كورنثوس ١١ : ١ — ٥ “ .

” قد صرت غيباً وأنا افتخر . أنتم ألزمتوني ، لأنه كان ينبغي أن

أمدح منكم ، إذ لم أنقص شيئا عن فائقي الرسل (٢) كورنثوس ١٢ —
١١ “ .

فكر بولس :

كان بولس يظن أن عنده روح الله : ” أظن أنني أنا أيضاً عندي روح
الله — (١) كورنثوس ٧ : ٤٠ “ .

وأنه سيدين ملائكة : ” أستم تعلمون أننا سندين ملائكة — (١)
كورنثوس ٦ : ٣ “ .

وقد جعل كل الأشياء تحل له ، فكرر هذا الزعم كثيرا في رسائله :
” كل الأشياء تحل لي — (١) كورنثوس ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ “ .

ونسب بولس إلى الله جهالة — أي حماقة — وضعفا ! .. تعالى الله
عما يقول علوا كبيرا .. ” جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله
أقوى من الناس — (١) كورنثوس ١ : ٢٥ “ .

وكان بولس يعتقد أن شيطانا قد وُكِّل إليه أن يضربه ، فيؤدبه لكي
يتجنب الغرور ! ” رسول الشيطان وُكِّل إليه بأن يلطمني لئلا أتكبر —
(٢) كورنثوس ١٢ : ٧ “ ، ^(١) .

ولقد كان بولس يدعو العبيد إلى الخضوع لسادتهم ، باعتبار أن هذه
السيادة قد جاءت من الله : ” جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا
سادتهم مستحقين كل إكرام ، لئلا يفترى على اسم الله وتعظيمه — (١)
تيموثاوس ٦ : ١ “ .

” لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من
الله ، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله . حتى إن من يقاوم السلطان

(١) حسب الترجمة العربية للكاتوليك المأخوذة عن الترجمة الفرنسية المسكونية
التي تقول : ” Un ange de Satan chargé de me frapper, pour m'éviter ... “ .

يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة — رومية ١٣ : ١ — ٢ “ .

لقد كان هذا شيئاً يرضي الحكام الرومان تماماً ، وكان هذا المفهوم سائداً في فجر المسيحية : فيها هو بطرس — رئيس التلاميذ — يقول : ” أيها الخدام : كونوا خاضعين بكل هيئة للسادة ، ليس للصالحين المتترفين فقط بل للعنفاء أيضاً . لأن هذا فضل ، إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم (١) بطرس ٢ : ١٨ — ١٩ “ .

ولقد أدى الإيمان بمبدأ الخضوع للسلطين باعتبارهم يستمدون سلطانهم من الله إلى ما عرفته أوروبا المسيحية فيما بعد من الزعم بأن الملك هو ظل الله على الأرض ، وأنه يحكم الشعب بتفويض إلهي .

بولس والمسيح :

لقد كان بولس أول من دعاه ابن الله ، ورفض تسميته : ابن الإنسان ، وهو ما استخدمه المسيح كثيراً عند الحديث عن نفسه ، حسبما تذكر الأناجيل الأربعة ، في مثل هذه الأقوال : ” ... ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه — متى ٨ : ٢٠ “ .

” لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا — مرقس ٢ : ١٠ “ .

” كل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له . وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له — لوقا ١٢ : ١٠ “ .

” متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو — يوحنا ٨ : ٢٨ “ .

ولقد كان المسيح يأمر بإقامة كل ما جاء في ناموس موسى

والأنبياء ، فقال في بدء دعوته : ” لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فأني أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل — متى ٥ : ١٧ — ١٨ “ .

وفي نهاية دعوته : ” خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون — متى ٢٣ : ١ — ٣ “ .

ولقد أئذر المسيح من يتعدى ناموس موسى والأنبياء بأنه سيكون أحقر الناس يوم الدينونة ، فقال : ” فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات — متى ٥ : ١٩ “ .

لكن بولس كان يقول بعكس ذلك تماماً ، فهجومه على الناموس معروف ، ودعوته إلى التحرر من سلطانه ، تملأ رسائله . فقد قال : ” نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح .. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما — غلاطية ٢ : ١٦ “ .

” قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح ، لكي نتبرر بالإيمان — ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب — غلاطية ٣ : ١٠ — ٢٥ “ . ولقد كان المسيح يعلم الإسرائيليين أن جوهر الناموس يتركز في : ” الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه — متى ٢٣ : ٢٣ “ .

وأن الله يريد الرحمة ، لا الذبيحة والقربان ، فقال المسيح : ” اذهبوا

وتعلموا ما هو : إني أريد رحمة لا ذبيحة — متى ٩ : ١٣ ، ١٢ : ٧ .

والمسيح يشير هنا إلى ما جاء في أسفار الأنبياء : ” إني أريد رحمة لا ذبيحة ، ومعرفة الله أكثر من محرقات — هوشع ٦ : ٦ “ .

وقد أكد داود هذا المعنى من قبل ، فقال في مزاميره : ” بذبيحة وتقدمه لم تسر . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب — مزمور ٤٠ : ٦ “ .

” ذبائح الله هي روح منكسرة — مزمور ٥١ : ١٧ “ .

لكن بولس ، خلافا لكل ذلك ، يصر على أن الذبيحة هي السبيل إلى الخلاص والمصالحة مع الله . وأن تلك الذبيحة لا بد أن تكون المسيح ابن الله ، الذي يقتل على الصليب رغما عنه ؛ بزعم أن ذلك يكفر عن خطايا البشر : ” ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه — رومية ٥ : ١٠ “ .

” الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين — رومية ٨ : ٣٢ “ .

ولهذا أغمض بولس عينيه عن كل ما جاء في مسيحية المسيح الحقّة الفاضلة ، وأقام بدلاً منها مسيحية الصلب وسفك الدم : ” إني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا — (١) كورنثوس ٢ : ٢ “ .

هذا — ولقد جرى التقليد على أن بولس جعل المسيح إلها ، وفق عبارة يستشهد بها كثيراً ، تقول : ” ومنهم (الإسرائيليين) المسيح ، حسب الجسد ، الكائن على الكل إلها مباركاً إلى الأبد ، آمين رومية ٩ : ٥ “ .

لكن هذا القول أصبح في حاجة إلى إعادة نظر على ضوء الترجمات المختلفة ، وكم غيرت المقارنة بين الترجمات من مفاهيم ومعتقدات سادت قرون عديدة ثم ثبت زيفها . وما حذف فقرة التثليث ببعيد . كذلك أصبح هذا القول في حاجة إلى مراجعة ، على ضوء مفهوم بولس لوضع المسيح بالنسبة لله كما عبر عنه في رسائله .

إن هذا الموضوع الخطير يتطلب بحثا بشيء من التفصيل ، وليس نقطة فرعية أو تعليقا جانبيا . وهذا ما نطرحه الآن ، في صيغة سؤال نقدم له الإجابة .

هل جعل بولس المسيح إلها؟!

لقد تحدث بولس عن عقيدته في الله ، فعبر في فقرات كثيرة من رسائله عن إيمانه بالله الواحد . وحين تحدث عن المسيح فقد عبر عن اعتقاده بأنه انسان قام بدور الوساطة بين الله والناس ، فقال : ” لأن الله واحد ، والوسيط بين الله والناس واحد ، ألا وهو المسيح يسوع الإنسان — (١) تيموثاوس ٢ : ٥ “ .

وقد اتفقت على ذلك الترجمات المختلفة .

وحين تحدث عن وضع المسيح أمام الله أعلن ، بصراحة ووضوح أنه يتحدث عن : اثنين ، لا عن شيء واحد ، وأن الله هو ” الأعلى “ ، ولاشك .

فقد اتفقت جميع التراجم العربية والإنجليزية والفرنسية على مفهوم قول بولس : ” وأريد أن تعلموا أن : رأس كل رجل هو المسيح ورأس المرأة هو الرجل ورأس المسيح هو الله — (١) كورنثوس ١١ : ٣ “ .

من هذا — ومثله كثير في رسائل بولس — نجد عقيدة واضحة ، لا تخلط بين الله والمسيح ، وتقرر أنه : — لا إله إلا الله .

— المسيح إنسان رسول من الله إلى الناس .

فإذا وجدنا بعد ذلك قولاً ينسب لبولس ، ويجعل المسيح ” إلهاً على الكل “ ، أو ما شابه ذلك ، فقد ناقض بولس نفسه ولا شك وشطح بعيداً عن الحقيقة إلى الظنون والأوهام ، وهدم ما جاء في كتب موسى والنبيين من بعده ، ورفض كلام الله على لسان أشعيا ” اجتمعوا يا كل الأمم معا ولتلتئم القبائل ..

قبلي لم يصور إله ، وبعدي لا يكون .

أنا الرب وليس آخر ، لا إله سواي ..

بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لتشابهه !؟

إني أنا الله وليس آخر . الإله وليس مثلي — أشعيا ٤٣ : ٩ — ١٠ ، ٤٥ : ٤ ، ٤٦ : ٥ ، ٩ “ .

إن هذا القول المنسوب لبولس يحتاج إلى تمحيص حتى نتبين حقيقة هذا الفكر العقائدي المتقلب الذي يتردد بين عقائد أهل اليمين مرة وعقائد أهل الشمال مرات ومرات .

تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاتوليكي : ” ورؤساء الآباء ومنهم المسيح بحسب الجسد الذي هو على كل شيء إله مبارك مدى الدهور . آمين — رومية ٩ : ٥ “ .

وتتفق مع هذا ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت .

وكذلك تتفق ترجمة العهد الجديد للكاتوليكي وترجمة العهد الجديد للطبعة الكاثوليكية مع هذا القول ولكن بصيغة تقول : ” والآباء ومنهم المسيح من حيث أنه بشر ، وهو فوق كل شيء إله مبارك أبدي الدهور . آمين “ .

وتتفق مع هذا ترجمة الملك جيمس الإنجليزية^(١) .

(١) “ Whose are the fathers, and of whom as concerning the flesh christ came, who is over all, God blessed forever. Amen.”

أما التراجم الإنجليزية والفرنسية الأخرى والأحداث فإنها تقول شيئاً آخر .

فالترجمة القياسية المراجعة تقول^(٢) : ” وإليهم ينتسب الآباء ، ومن جنسهم المسيح حسب الجسد . تبارك الله الذي هو فوق كل شيء إلى الأبد . آمين “ .

وتتفق مع هذا ترجمة ” انجليزية اليوم “ حيث تجعل التبريك خاصاً بالله فقط ، ولا تنسب للمسيح ألوهية^(٣) .

وبالنسبة للتراجم الفرنسية : نجد أن ترجمة لوى سيجو تتفق مع التراجم العربية في جعل التبريك والألوهية يتعلقان بالمسيح ، إلا أنها تشير في الحاشية إلى أنه يمكن ترجمة تلك الفقرة بما يخالف ذلك ، حيث يتعلق التبريك والألوهية بالله^(٤) .

وقد فعلت ذلك أيضاً الترجمة الفرنسية المسكونية^(٥) حيث ذكرت في الحاشية أن بعض المفسرين يختمون الجملة الأولى بكلمة المسيح ، لنبدأ الجملة الثانية بتسبيحة لله الآب ، مع إشارة هامة إلى أن هذا القول له نظائر كثيرة في رسائل بولس فهو يتفق مع أسلوبه كما جاء في رسائله

(٢) “to them belong the patriarchs, and of their race, according to the flesh, is the Christ. God who is over all be blessed for ever. Amen”

(٣) “... and Christ, as a human being belongs to their race. May god, who rules over all be praised forever” Amen”.

(٤) “On peut traduire aussi: de qui est issu le christ selon la chair. Que le Dieu qui est au- dessus de toutes chose soit béni éternellement. Amen!”.

(٥) “Certains commentateurs, coupant la phrase après Christ, comprennent la fin du verset comme une doxologie adressée au Pere: celui qui est Dieu au dessus de tout, est (ou: soit) béni éternellement. Amen.”

التي أشير إليها وقال فيها : ” الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا
وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد . آمين — رومية
١ : ٢٥ “ .

” مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية —
(١) كورنثوس ١ : ٣ “ .

” الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي هو مبارك إلى الأبد يعلم أنني لست
أكذب — (٢) كورنثوس ١١ : ٣١ “ ، (١) .

” مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية
في السموات في المسيح — أفسس ١ : ٣ “ .

من كل ما سبق يتضح أن بولس لا يمكنه أن يقول أن المسيح
” كائن على الكل إنها مباركاً إلى الأبد “ وإنما التبريك والألوهية لله
وحده وليست للمسيح .

وإذا كان بولس قد انزلق وجعل المسيح إلها فقد ناقض نفسه إذن
في عقيدة التوحيد التي صرح بها كثيراً في رسائله ، ولا يمكن أن يصدر
عنه هذا القول — وما شابهه — وهو في حالة وعي وتيقظ ، بل لابد
أن يكون قدر اعترته غيبوبة كتلك التي يقول فيها عن نفسه ، حسب
ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : ” وحدث لي بعد ما رجعت
إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل أنني حصلت في غيبة — أعمال
الرسل ٢٢ : ١٧ “ .

أو بتعبير العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية : ” بينما أنا أصلي ،
غبت عن الحس “ .

RSV: “The God and Father of the Lord Jesus, **he who is blessed for
ever, knows that I do not lie.**”

TOB : “Dieu, le pere du Seigneur Jesus, **qui est béni pour l'éternité, sait que
je ne mens pas.**” .

الله هو الأعظم :

لقد عبر المسيح عن ذلك صراحة فقال : الله ” أعظم مني — يوحنا ١٤ : ٢٨ “ وقال المسيح أن : الله ” المثل الأعلى في السموات والأرض “ وله الكمال المطلق والصلاح المطلق ، فقال لمن دعاه : المعلم الصالح : ” لماذا تدعوني صالحا؟! ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله — مرقس ١٠ : ١٨ “ .

ولقد عبر بولس عن مثل هذا الفكر ، فبين عند الحديث عن الله والمسيح معه أن الله هو الأعظم دائما ، وهو الأكبر دائما أو بإيجاز : الله أكبر ! فقال — كما رأينا — أن المسيح هو رأس كل رجل أي سيده ، وأن الله هو رأس المسيح أي سيده (١ — كورنثوس ١١ : ٣) .

وقال بولس : ” أما أنتم فللمسيح ، والمسيح لله — (١) كورنثوس ٣ : ٢٣ “ .

” حينما يقول إن كل شيء قد أخضع ، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل .

ومتى أخضع له الكل ، فحينئذ الابن نفسه أيضا سيخضع للذي أخضع له الكل (أي يخضع لله) — (١) كورنثوس ١٥ : ٢٧ — ٢٨ “ .

وقال بولس : ” أيها النساء اخضعن لرجالكن ، كما للرب . لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ... ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن في كل شيء — أفسس ٥ : ٢٢ — ٢٣ “ .

ويشار في حاشية هذه الفقرة إلى ما جاء في سفر التكوين ٣ : ١٦

من قضاء الله بخضوع المرأة لرجلها خضوع سيادة ، إذ يقول : ” إلى
رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك “ .

مما سبق يتبين بوضوح أن الفكر اللاهوتي لبولس يقوم على أن :
— الله واحد .

— الله والمسيح اثنان ، وليساً شيئاً واحداً .

— الله هو الأعظم ، والمسيح خاضع له خضوع سيادة .

وينتج عن ذلك :

أن بولس لا يعلم شيئاً عن التثليث الذي استحدثه آباء الكنيسة فيما
بعد على مراحل ، حين قرروا في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م أن ” المسيح
ابن الله المولود من الآب ، وأنه إله مساو للآب في الجوهر “ . ولم
يذكروا شيئاً عن الروح القدس في ذلك الحين ، فلم يدخل ضمن
الآلهة . ثم قرروا في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ ” أن الروح
القدس خالق غير مخلوق ، وأنه إله من طبيعة الآب والابن ، وأن الآب
والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم ، وأن هؤلاء الثلاثة إله واحد “ .

وهكذا دخل التثليث على مسحية المسيح التي كانت في أول أمرها
توحيداً .

تقول دائرة المعارف الأمريكية : ” لقد بدأت عقيدة التوحيد ،
كحركة لاهوتية ، بداية مبكرة جداً في التاريخ . وفي حقيقة الأمر فإنها
تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين .. “

إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي ، لم تعكس
بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله . لقد كانت ، على
العكس من ذلك ، إنحرافاً عن هذا التعليم .. إن التوحيد هو القاعدة الأولى
من قواعد العقيدة ، أما التثليث فإنه إنحراف عن هذه القاعدة .. إن أغلب
المسيحيين لم يقبلوا التثليث ، ونجد ترتليام (٢٠٠ م) الذي كان أول

من أدخل تعبير التثليث في التفكير المسيحي ، مسئولاً عن الفقرة التي تقول أن في أيامه : كان غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنساناً ،^(١) .

هذا ، ولقد استحدث بولس في المسيحية فكرة القربان المقدس بأكل لحم المسيح وشرب دمه ، وأن موته على الصليب كان ضرورة من أجل المصالحة مع الله والتكفير عن خطايا البشر !

ويرفض هذا الفكر البولسي طائفة ” الموحدين — من المسيحيين — Unitarians “ وهي طائفة موجودة منذ أيام المسيح حتى اليوم تؤمن أن المسيح ما هو إلا بشر رسول قد خلت من قبله الرسل ، ولها كنائسها التوحيدية المنتشرة في أوروبا وأمريكا الشمالية .

وتعرض دائرة المعارف الأمريكية أساسيات فكر ” الموحدين “ المسيحيين ، حسبما جاء في أقوالهم ، كالآتي :

” إن يسوع فكر في نفسه كزعيم ديني هو المسيا ، وليس كإله . وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان . إذ لو كان عند أي من بطرس أو يهوذا أي فكرة عن أن يسوع إله ، لما كان هناك أي تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع (حسبما تذكره الأناجيل بعد القبض عليه والذهاب به إلى بيت رئيس الكهنة) . وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا . إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائناً إلهياً له كل القوى .

إن الحقيقة المزعومة بأن يسوع مات من أجل خطايانا ، وبهذا وقانا لعنة الله ، إنما هي مرفوضة قطعاً . إن الاعتقاد في أن يسوع كان له هذه النتيجة ، إنما يعني الطعن في أخلاق الله .

إن الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة ، بل عن طريق اللحم

والحكمة والمحبة . إن الأب الحكيم والمحب لبيه ، لا يهلك الولد المخطيء الذي يقع في المعاصي ، لكنه يعلمه ويقوده في طريق الحكمة والفضيلة .

إن الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الإله ، لهو أمر مناقض للحلم الإلهي والصبر والود والمحبة التي لا نهاية لها .

— إن الموحدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر . إنه لو كان إلهاً فإن المثل الذي ضربه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من القيمة ، حيث أنه يمتلك قوى لا نملكها . إن الإنسان لا يستطيع تقليد الإله “ (١) .

بولس جعل المسيح لعنة :

إنها صدمة كبيرة ولاشك ، ولكن هكذا كان فكر بولس الذي سطره في رسائله ، إذ يقول في فلسفته لفكرة صلب المسيح كفارة عن خطايا البشر :

” المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة — غلاطية ٣ : ١٣ “ .

والمكتوب الذي يشير إليه بولس ، هو ما جاء في توراة موسى خاصا بالموتى الذين يُصلَّبون على خشبة : ” إذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك — تثنية ٢١ : ٢٢ — ٢٣ “ .

(١) المرجع السابق — ج ٢٧ — ص ٣٠٠ — ٣٠١ .
وراجع أيضا كتاب المؤلف : طائفة الموحدين من المسيحيين .

لقد كان الصليب وسيلة إعدام منذ آلاف السنين ، فقد استخدمه
الفراعنة والرومان وغيرهم . وكم حدثت من ثورات على قوى البغي
الحاكمة ، وقُهر الثائرون وماتوا بطرق وحشية وعلقت جثثهم على
الخشب أياماً وليالي ، فهل كان هؤلاء الثائرون على مظالم قوى البغي
ملعونين من الله ، لمجرد كونهم قد علقوا على أخشاب ؟!

إن بعض العلماء يرى أن بولس قد أخطأ في فهم فقرة التثنية هذه
الخاصة بلعن المعلقين على الخشبة ، وأن فلسفتها على هذا النحو تعتبر
شيئاً غريباً على الفكر اليهودي . يقول هيام ماكوبي : ” إن الفكرة التي
تقول بأن كل من علق على خشبة يكون ملعوناً ، إنما هي فكرة غريبة
على فكر اليهود الفريسيين ، وأن معلمهم لم يفسروا فقرة التثنية (٢١ :
٢٣) بهذا المفهوم . وحتى لو كان الشخص المعلق مذنباً بجريمة
عقوبتها الموت ، ما كان يعتبر تحت لعنة بل على العكس من ذلك ،
إذ أنه قد كُفّر عن جريمته بتعرضه للإعدام . ولقد كان الأحبار يفسرون
فقرة التثنية (٢١ : ٢٣) هكذا : يعلق جسد من نفذ فيه حكم الإعدام
على قائم لفترة قصيرة ، ولكن لا بد من إنزاله من على ذلك القائم فلا
يبست عليه ليلاً ، لأنه لو بقيت جثته معلقة ليلاً ، فإن هذا يجلب لعنة
من الله .

وبعبارة أخرى ، فإن اللعنة لا تحل بمن نفذ فيه حكم الإعدام ، بل
بأولئك المسؤولين عن تعريض ذلك الجسد إلى الإهانة . وفي تفسير
آخر : يعتبر تجديفاً على الله أن يسمح بتعليق جسد من نفذ فيه حكم
الإعدام ، لأن جسد الإنسان خلق على صورة الله ،^(١) كما تقول
التوراة في سفر التكوين ١ : ٢٧ . “

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يذهب فيها بولس بعيداً عن

- Hyam Maccoby: The Myth Maker. pp. 67-8

(١)

المضمون الحقيقي لفقرات يقتبسها من أسفار العهد القديم ويفلسفها وفق هواه . فلقد سطر في رسائله : ” لأنه مكتوب : سأبذل حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء — (١) كورنثوس ١ : ١٩ “ .

إن بولس يشير هنا إلى ما جاء في سفر أشعياء ٢٩ : ١٣ — ١٤ ، الذي يقول : ” قال السيد : لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني ، وصارت مخافتهم مني وصية الله معلمة . لذلك هاأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا . فتبذل حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه “ .

من الواضح أن هذا لم يكن حكما عاما يقضي ” بإبادة حكمة الحكماء ورفض فهم الفهماء “ — كل حكماء وكل فهماء الجنس البشري — كما فهم بولس خطأ . إنما كان ذلك عقابا مؤقتا نزل بالشعب الإسرائيلي خلال فترة معينة من تاريخه . فلقد ظهر أشعياء في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، وهو القرن الذي شهد القضاء التام على مملكة إسرائيل على يد الآشوريين عام ٧٢٢ ق . م . وضاع هذا الشعب الإسرائيلي بحكامه وحكمائه وفهمائه وجهاله ، وكان ما قاله أشعياء متعلقا بضلال بني إسرائيل وضياعهم .

إن لعنة المسيح التي اخترعها بولس يترتب على التصديق بها نتائج خطيرة ، لا يحتاج تقريرها إلى مجهود فكري أو معالجة لغوية عميقة . فالقول بأن كل من علق على خشبة ملعون ، يعني أن كل مصلوب ملعون . ولقد قال بولس أن المسيح صار لعنة لأنه علق على خشبة الصليب ، أي أن المسيح ملعون ! .

فهل يقبل أي مسيحي — تحت أي ظرف من الظروف — هذا القول وما يترتب عليه ؟!

إن بولس يقول : ” مع المسيح صُلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في — غلاطية ٢ : ٢٠ “ .

ويقول : ” يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي ، وأنا للعالم — غلاطية ٦ : ١٤ “ .

والتفسير الشائع لمثل هذه الأقوال ، أن المسيحيين يصلبون مع المسيح — تبعاً لقدوتهم بولس — فيحيون الحياة الحقّة . وحيثما يوجد مصلوبون ، يوجد ملعونون ! ومن له أذنان للسمع فليسمع ، لعله يفهم ! .

أما بعد : لقد بين المسيح مستقر الملعونين يوم الدنيوية — وهو معلوم بالضرورة عند كل المؤمنين بالله — حين يقال لهم : ” اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبديّة المعدة لإبليس وملائكته — متى ٢٥ : ٤١ “ .

﴿ مُؤَذَّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة الأعراف : ٤٤]

هل قال بولس : ” كل الكتاب موحى به من الله “ ؟ ١٩

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت : ” كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب الذي في البر — (٢) تيموثاوس ٣ : ١٦ “ .

وهو ما تقوله بقية التراجم العربية الأخرى ، وكذلك ترجمة لوى سيجو الفرنسية .

أما ترجمة الملك جيمس الإنجليزية^(١) فيلاحظ أنه قد أضيف إلى المتن فعل الكينونة بحروف مائلة (تحته خط في الحاشية) ، فغير المعنى تماما حيث جعل هذه الترجمة تتفق مع الترجمات سالفة الذكر .

هذا — وتتفق الترجمة القياسية المراجعة في المتن مع التراجم العربية إلا أنها تشير إلى أنه هناك ترجمة أخرى لهذه الفقرة تقول^(٢) : ” كل كتاب موحى به من الله هو أيضا نافع للتعليم والتوبيخ ” .

وهو ما تقوله ترجمة ” انجليزية اليوم “ ، حاشيتها^(٣)

وهو ما تقوله أيضا الترجمة الفرنسية المسكوية في حاشيتها^(٤)

“All scripture is given by inspiration of God, and is profitable for doctrine, (١)
for reproof, for correction, for instruction in righteousness”.

“Every scripture inspired by God is also — ”. (٢)

“Every scripture inspired by God is also useful ...”. (٣)

“Toute Ecriture, inspirée de Dieu, est utile.” (٤)

نحن الآن أمام ترجمتين : الأولى — تقليدية متعارف عليها تقول :
” كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم “ .

وأما الثانية — فقد بدأت تظهر في حواشي التراجم الحديثة وتقول :
” كل كتاب موحى به من الله هو أيضا نافع للتعليم ... “ .

إن الفرق بين المعنيين كبير ، ولا يمكن أن تكون أحدهما مرادفا
للأخرى . ذلك أن القول بأن : ” كل كتاب موحى به من الله ، نافع
للتعليم “ هو حقيقة أولية يسلم بها كل المؤمنين ، ولا تحتاج إلى
برهان .

أما القول الثاني بأن : ” كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع
للتعليم “ فهنا وقفة لأبد منها ، تبدأ بالتساؤل عن أي كتاب يتحدث
بولس .

فمن المعلوم أن رسائل بولس كانت هي أول كتابات قبلت فيما بعد
في العهد الجديد ، وأن كتاباته سبقت كتابة أقدم الأناجيل — انجيل
مرقس — بأكثر من ١٥ عاما . وإن رسائله لم تلق قبولا شعبيا قبل نهاية
القرن الأول الميلادي ، أما الأناجيل الأربعة فقد تأخر قبول سلطتها إلى
ما بعد عام ١٧٠ ميلادية .

وأخيرا — وهو الأهم — نجد أن هذا العدد الذي يتحدث فيه بولس
عن ” الكتاب الموحى به من الله “ قد سبقه العددان ١٤ ، ١٥ .
وهما يقولان : ” أما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفا ممن
تعلمت .

وأنتك من الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكملك
للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع — (٢) تيموثاوس ٣ :
١٤ — ١٥ “ .

من كل ما سبق يتبين أن ” الكتاب الموحى به من الله “ . والذي تحدث عنه بولس إنما هو أسفار العهد القديم ، الذي كان اسمه آنذاك : ” ناموس موسى والأنبياء والمزامير — لوقا ٢٤ : ٤٤ “ أو يقال لها باختصار : ” الكتب — لوقا ٢٤ : ٤٥ “ .

وهي أشياء يمكن أن يكون تيموثاوس قد تعلمها منذ طفولته ، حيث يقول العهد الجديد للكاتوليك في تقديمه لرسالة بولس إلى تيموثاوس : ” كانت أمه أونيقة وجدته لأمه لؤيس يهوديتين .. وكانت أمه وجدته من أهل التقى فعلمناه الأسفار المقدسة منذ نعومة أظفاره “ .

والآن بعد أن اجبنا على التساؤل الخاص بالكتاب الذي تحدث عنه بولس باعتباره وحيا من الله ، وأن المقصود هو أسفار العهد القديم . نتقل الآن إلى السؤال الثاني والبدهي ، وهو : هل كل أسفار العهد القديم موحى بها من الله ؟ .

إن الإجابة هنا سيرة وحاضرة يترجمها واقع نظرة العالم المسيحي إلى هذه الأسفار . فدون التعرض لما بها من أخطاء علمية وتاريخية وعقائدية وتحريف لنصوص — وكل هذه أصبحت حقائق مسلما بها من قبل السلطات الدينية وعلماء المسيحية — فيكفي الإشارة إلى أن الأسفار السبعة التي تقبلها الكنيسة الكاثوليكية تحت اسم ” الأسفار القانونية الثانية “ ، يرفضها البروتستانت وغيرهم باعتبارها ليست من وحي الله . . .

إذن العالم المسيحي يسلم بأن ” كل الكتاب “ الذي تحدث عنه بولس بأنه ” موحى به من الله “ هو في معتقد الكثير من المسيحيين ” غير موحى به من الله “ .

ولما كانت اللغة الاغريقية التي نقلت عنها سائر الترجمات الأخرى تسمح بأن تكون ترجمة تلك الفقرة هي : ” كل كتاب موحى به من

الله هو أيضا صالح للتعليم “ صار من المؤكد أن هذه هي الترجمة الوحيدة الصادقة لأنها : تتفق واللغة ، وتتفق وحقائق الأمور .

شتان بين أن يقال : “ كل الكتاب هو موحى به من الله ... ” في صورة تعميم خاطيء ، يختلط فيه الحابل بالنابل ، وبين أن يقال : “ كل كتاب موحى به من الله ، هو صالح للتعليم ” . فهذا القول الأخير إنما هو حقيقة بديهية لا تحتاج إلى بحوث لغوية أو علمية لإثبات صحتها .

القول الحق إذن هو : “ كل كتاب موحى به من الله ، هو نافع للتعليم والتويخ والتقويم والتأديب في البر ” .

هذا — ومن الجدير بالذكر أن أي من كتبه الأنجيل الأربعة لم يقل أبدا أن ما يكتبه قد جاء وحيا من الله ، وذلك خلافا للكثير من أسفار العهد القديم التي تقرر في مطلعها أنها وحى من الله إلى نبيه . ومن أمثلة ذلك : “ كلم الله موسى وقال له : أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بإني الإله القادر على كل شيء

ثم كلم الرب موسى قائلاً : — خروج ٦ : ٢ — ١٠ “ .

” رؤيا أشعيا بن آموص ... اسمعي أيتها السموات واصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم — أشعيا ١ : ١ — ٢ “ .

” قول الرب الذي صار إلى يوثيل ... — يوثيل ١ : ١ “ .

” رؤيا عوبديا . هكذا قال السيد الرب ... — عوبديا ١ : ١ “ .

كذلك تقرر آيات القرآن وسوره أنها وحى من الله :

﴿الرَّكَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠٠﴾

[سورة ابراهيم : ١] .

﴿ ١ 〉 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ 〉 نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ ٣ 〉

[سورة آل عمران] .

﴿ سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

[سورة النور : ١] .

﴿ قُلْ

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿ ١ 〉

[سورة الكهف] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا

[سورة الأنبياء] .

مَآ يَنْذَرُونَ ﴿ ١٥ 〉

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ ١٠٢ 〉

[سورة النحل : ١٠٢] .

أما الأنجيل ، فإن موقفها مختلف تماماً بالنسبة للوحي . فهي هو لوقا
يبدأ كتابة سلسلة من الخطابات إلى عزيز لديه يدعى ثاوفيلس ، يحدثه
فيها عما ترامى إليه من أخبار المسيح ، ويعيشها إليه على التوالي حسبما
تساعده الظروف . وتمر عشرات السنين بعد رحيل المسيح وعشرات
وعشرات بعد موت لوقا الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ولم
يسعده الحظ برؤيته ولو مرة واحدة لأنه كان من الجيل الثاني بعد جيل
المسيح ، فتعتمد السلطات الكنسية إلى تجميع رسائله وتقسيمها إلى
قسمين ، تسمى الأول منها : انجيل لوقا ، وتسمى الثاني : سفر أعمال

الرسول .

لقد كان الرجل صادقاً مع نفسه ومع صديقه ثاوفيلس حين بدأ رسائله بما نجده الآن في مقدمة انجيله التي يقول فيها : ” إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضاً ، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن اكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به — لوقا ١ : ١ — “ ٤ .

ويتضح من ذلك عدة أمور :
— أن كثيرين قد أخذوا في تأليف قصص عن المسيح وبشارته ومن المعلوم أن القرنين الأول والثاني من الميلاد قد انتشرت فيهما أناجيل كثيرة . وتذكر لنا دائرة المعارف البريطانية أسماء العشرات من تلك الأناجيل .

— وإن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية إلى عزيزه ثاوفيلس الذي قيل أنه كان ثريا من الإسكندرية أو موظفاً رومانياً كبيراً .

— وأن لوقا كتب رسالته إلى ثاوفيلس بدافع من نفسه ومحاكاة للآخرين : (رأيت أنا أيضاً) ، وأنه عمل في رسالته بجهد الخاص : (تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق) .

— ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سيكون سفراً مقدساً يستخرج منه ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه كان رسالة شخصية لصديقه : (لتعرف صحة الكلام) .

— وأنه لم ير المسيح ، وإنما جاءته معلومات عنه من (الذين كانوا معانين وخداما له) .

وخلاصة القول أن ما سطره لوقا من رسائل وجمعت معاً لا تعدو أن تكون كتاباً مؤلفاً بكل معنى الكلمة . فهي مجهود بشري أولاً وأخيراً

ولا علاقة لها بالوحي . إن هذا ما يقوله لوقا في بعض رسائله هذه ،
والتي صدرت بها السلطات الكنيسة الجزء الثاني من رسائله ، وجمعه
تحت اسم : سفر أعمال الرسل .

إن لوقا يقول ، حسب ترجمة الكاثوليك : ” ألفت كتابي الأول يا
ثاوفيلس في جميع ما عمل يسوع وعلم ، منذ بدور رسالته إلى اليوم
الذي رفع فيه إلى السماء ... “ .

وتقول ترجمة البروتستانت : ” الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن
جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ... “ .

لقد كان لوقا صادقاً مع نفسه حين قرر أن ما سطره كان من تأليفه .
من يجرؤ — بعد ذلك — على الإدعاء بأنه كتب بإلهام من الروح
القدس ؟!

أو من يجرؤ بعد ذلك على ضم كتابات لوقا وغيره إلى قائمة الكتب
التي قيل أن بولس قال عنها : كل الكتاب موحى به من الله ، وقد بينا
خطأ تلك المقولة ؟!

وها هو كاتب انجيل متى يقرر أن ما يكتبه هو : ” كتاب ميلاد
يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم .. — ١ : ١ “ .

وليس في هذا الكلام أو في غيره ما ينص على أنه وحي من الله .
وما يقال عن انجيل متى يقال عن انجيل مرقس بالنسبة لموضوع
الوحي ، إلا أن كاتب انجيل مرقس — الذي لم ير المسيح مثل لوقا —
قرر أن يسمي كتابه انجيلاً ، فقال : ” بدء انجيل يسوع المسيح ابن
الله — ١ : ١ “ .

وجدير بالذكر أن ” بعض المراجع القديمة الموثوق فيها تحذف :

ابن الله . “ (١) أي أن السطر الأول من انجيل مرقس يقرأ هكذا :
” بدء انجيل يسوع المسيح “ .

وهكذا تحدث عمليات الإضافة والحذف عبر السنين ..

وبالنسبة لإنجيل يوحنا ، فقد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا وهو
الاعتقاد بأن المسيح هو ابن الله ، إذ يقول : ” وآيات آخر كثيرة صنعها
يسوع قدام تلاميذه ، لم تكتب في هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت
لتؤمنوا بأن المسيح هو ابن الله — ٢٠ : ٣٠ — ٣١ “ .

ولا علاقة بهذا الكلام بموضوع الوحي ، وقل مثل ذلك على رسائل
التلاميذ (٢) .

- D. Nineham : Saint Mark, p. 56.

(١)

(٢) لمزيد من التفاصيل حول بولس ومسيحيته ، راجع كتاب المؤلف : حقيقة
التبشير .

المرأة فى الأديان

١ — المرأة فى اليهودية

المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

إن هذا ما تقوله قصة خلق آدم وزوجه وحياتهما الأولى فى الجنة ،
والتي انتهت بالطرد منها بسبب معصية الأمر الإلهى بعدم الأكل من
الشجرة المحرمة . فالقصة تقول إن الحية أغرت المرأة بالأكل من تلك
الشجرة ” فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل .
فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان “ .

من هنا كانت المرأة هى التى بدأت بالمعصية ، ومن ثم كانت هى
المسئولة عن تلك الخطيئة الأولى . ولقد حاول آدم أن يرى نفسه من
مسئولية مخالفة أمر الله ، وألقى باللائمة على امرأته فقال لربه : ” المرأة
التي جعلتها معى هى أعطتني من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الاله للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟! فقالت المرأة : الحية
غررتنى فأكلت “ .

ولقد ترتب على ذلك انزال العقاب الإلهى بهؤلاء المذنبين الثلاثة
وهم آدم وامرأته والحية على النحو التالى :

” قال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هذا ؟ ملعونة أنت من جميع البهائم .. على بطنك تسعين ، وترابا تأكلين كل أيام حياتك ^(١) !

وقال للمرأة : تكثيرا أكثر اتعاب حبلك بالوضع تلدين أولادا ^(٢) . وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك ! .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك .. ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك .

وقال الرب الاله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منها ، عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها — تكوين ٣ : ٦ — ٢٣ “ .

ويقول علماء الكتاب المقدس ، فى تعليقهم على بعض ما جاء فى هذه القصة : ” المرأة لا تكون شريكة للرجل ، ولا تساويه ، بل تمسى فتنه الرجل . وهو يستعبد لها لتلد له الأولاد “ ^(٣) .

المرأة — اذن — حسب هى الرواية ، هى سبب بلاء الجنس البشرى ، وعقوبتها ان يستعبد لها الرجل .

* *

ولقد مرت آلاف السنين بعد خلق آدم وزوجه وطردهما من الجنة . وتكاثر البشر على الأرض وكونوا مجتمعات ودولا . ثم جاء موسى —

(١) هل تأكل الحية ترابا ؟! إن الحية تأكل الفئران والبيض ونحوه .

(٢) إن أناث الحيوانات كالخيل والحمير والأنعام والسباع تلد جميعا بالأوجاع . فهل كان سبب ذلك معصية ارتكبتها جداتها عند بدء الخليقة ؟!

(٣) أسفار الشريعة الخمسة .

فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد — بالتوراة وفيها تشريعات تقول لبنى
إسرائيل :

— المرأة تباع وتشتري :

” إذا باع رجل ابنته أمة ، لا تخرج كما يخرج العبد — خروج
٢١ : ٧ “ .

” قال بوغر للشيوخ : راعوث المرايية .. قد اشتريتها لى امرأة —
راعوث ٤ : ٩ — ١٠ “ وراعوث هذه جدة داود .

— نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر :

” إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام .. ثم
تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها .
وإن ولدت أنثى ، تكون نجسة أسبوعين .. ثم تقيم ستة وستين
يوما فى دم تطهيرها — لاويين ١٢ : ١ — ٥ “ .

— الميراث للذكور فقط :

” إذا كان لرجل امرأتان : أحدهما محبوبة والاخرى مكروهة ،
فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة .. فيوم يقسم لبنيه ماكان له ،
لا يحق له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر .
بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين .. له حق
البكورية — تثنية ٢١ : ١٥ — ١٧ “ .

يحتوى هذا التشريع — الذى فاز فيه الأبناء بالميراث دون البنات
بل دون بقية الاناث من زوجات وأمهات — على السماح بتعدد
الزوجات .

— ولا تراث الأناث إلا عند فقد الذكور :

وحين كان موسى يقسم الأرض بين بنى إسرائيل كان التخصيص
للذكور فقط ، فاحتجت بنات صلفحاد لأن أباهن كان قد توفى

” ولم يكن له بنون . (وقلن) لماذا يسقط اسم أبينا من عشيرته لأنه ليس له ابن ، فاعطنا ملكا فيما بين أعمانا .. فكلّم الرب موسى قائلاً : تعطيهم ملك نصيب بن أخوة أبيهن ، وتنقل نصيب أبيهن اليهن .

وتكلّم بنى إسرائيل قائلاً : أيما رجل مات وليس له بنون ، تنقلون ملكه إلى ابنته . وإن لم يكن له ابنة ، تعطون ملكه لأخوته . وإن لم يكن له أخوة تعطون ملكه لأخوة أبيه . وإن لم يكن لأبيه أخوة ، تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب إليه من عشيرته فيرثه — عدد ٢٧ : ١ — ١١ “ .

وهكذا ، عندما لا توجد ابنة للميت يتحول ميراث الأرض إلى الذكور فقط حتى إذا لم يكن هذا الذكر سوى نسيبه ، ولقد كان هذا مصدر إلهام لما صدر من تشريعات للميراث فيما بعد . فها هي مجموعة الأحكام العبرية تقول :

— المادة ٣١٣ : ” إذا لم يكن للميت ولد ذكر ، فميراثه لابن أخيه . وإن لم يكن له ابن ابن ، فالميراث للبنت . وإن لم يكن له بنت ، فالميراث لأولاد البنت . وإذا لم يكن له حفدة فلأولاد أولادهم الذكور . وإذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور ، فالميراث لبنات الحفدة “ .

— المادة ٤٢٦ : ” إذا ماتت الزوجة ولم تعقب ذرية من الأولاد ، فزوجها وارثها الشرعى “ .

— المادة ٤٣٣ : ” ليس للمرأة أن تطلب الطلاق مهما كانت عيوب زوجها ، حتى لو ثبت عليه الزنا “ .

— المادة ٤٣٤ : ” متى نوى الزوج الطلاق حرمت عليه معاشره زوجته فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الإسراع إلى طلاقها “ .

٢ — المرأة فى المسيحية

يقول ميخائيل هارت فى كتابه : المائة أعظم الناس أثرا فى التاريخ ؛ عند الكلام عن المسيح : ” ان المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وإنما أقامها اثنان : المسيح والقديس بولس . ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذا الرجلان .

فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنسانى . أما مبادئ اللاهوت فهى من صنع القديس بولس . فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية ولكن القديس بولس أضاف إليها عبادة المسيح كما أن القديس بولس هو الذى ألف جانبا كبيرا من العهد الجديد ، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد ..

ولهذه الأسباب ، فإن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح ..

وليس من المنطق فى شىء ، أن يكون السيد المسيح نفسه مسئولا عن الذى أضافه الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية . فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه “ .

ولقد رأينا بعضا من ذلك عند الكلام عن بولس (الملحق رقم

٨) . نحن — إذن — أمام عقائد ووجهات نظر مختلفة ، فلنبحث وضع المرأة فى ظل كل منها .

أ — المرأة فى مسيحية المسيح

جاءت أغلب تعاليم المسيح حول المرأة فى موعظة الجبل ، إذ يقول : ” قد سمعتم أنه قيل للقدمات : لا تزنى . وأما أنا فأقول لكم : إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فإن كانت عينك اليمنى تعثر ، فاقطعها وألقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .. وقيل : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته ، إلا لعدة الزنا ، يجعلها تزنى . ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى — متى ٥ : ٢٧ — ٣٢ “ .

لقد اثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق ، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق ، فهل من مصلحة المرأة المطلقة ألا تتزوج مطلقا ؟!

ولقد علم المسيح تلاميذه وتابعيه أن يطبقوا شريعة موسى فى كل شىء ، فهو لم يأت لينقضها ، ولم يأت بتشريع جديد يعالج به مختلف نواحي الحياة . فلقد كان آخر تعليمه لهم : ” على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون — متى ٢٣ : ٢ — ٣ “ .

وبينما كان يتحدث أمام جمع كبير من الاسرائيليين ، ” قال له واحد من الجمع : يا معلم . قل لأخى أن يقاسمنى الميراث . فقال له : يا إنسان ، من أقامنى عليكم قاضيا أو مقسما — لوقا ١٢ : ١٣ — ١٤ “ .

ليس في المسيحية — اذن — تشريع خاص للميراث ، وما جاء في
شريعة موسى خاصا بذلك ينطبق على المسيحيين ، وخلاصته الا تروث
الأنتى إلا عند فقد الذكور .

ولقد كان المسيح رحيمًا بالمرضى ، فشفى كثيرا من أصحاب
الأمراض والعاهات ، يستوى في ذلك الرجال والنساء . فشفى حماة
بطرس (متى ٨ : ١٤ — ١٥) ، والمرأة التى كانت تنزف سنوات
طويلة . وقد قال لها : ” ثقى يا ابنة . إيمانك قد شفاك (متى ٨ :
٢٠ — ٢١) “ .

على أن كتبة الأناجيل قد عرضوا لنا مواقف غريبة للمسيح مع أمه
” فقد كان عرس في قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك .. ولما
فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر . فقال لها يسوع :
مالى ولك يا امرأة ! — يوحنا ٢ : ١ — ٤ “ .

” وفيما هو يكلم الجموع : إذ أمه وأخوته قد وقفوا خارجا طالبين
أن يكلموه . فقال له واحد : هو ذا أمك وأخوتك واقفون خارجا طالبين
أن يكلموك . فأجاب وقال للقاتل : من هى أمى ، ومن هم أخوتى ؟!
ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى وأخوتى . متى ١٢ : ٤٦ —
٤٩ “ .

أما حسب رواية لوقا ، فإنه ” أجاب وقال لهم: أمى وأخوتي هم
الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها — ٨ : ١٢ “ .

ولقد كانت مثل هذه المواقف موضع تعليق لكثيرين ، مثل
ول ديورانت الذي يقول عن المسيح أنه ” ينصحنا بنبل وشرف الا
نحكم (ندين) حتى لا يحكم علينا (ندان) ، ولكنه يلعن الناس
والمدين التى لم تؤمن برسالته ، ويلعن شجرة التين التى لم تكن تحمل
ثمرا . ولعله كان قاسيا بعض القسوة على أمه . وكان يتصف بحماسة

النبي العبراني المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذي يمتاز به الحكيم اليوناني ، “ (١) .

لقد جاء المسيح رسولا إلى بني إسرائيل ، وكان حريصا على إعلان ذلك في كل مناسبة . فحين أرسل تلاميذه للتبشير ، حصر مهمتهم في الشعب الاسرائيلي فقط ، لدرجة أنه أخرج السامريين الذي يؤمنون بموسى والتوراة من نطاق رسالته . وفي هذا يقول الانجيل : ” هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات — متى ١٠ : ٥ — ٧ “ (٢) .

ولقد كان من حرص المسيح على بيان أن رسالته لا تختص إلا ببني إسرائيل ، أنه لم يسارع إلى تقديم يدن العون والرحمة لامرأة ملهوفة استغاثت به أن يرحمها ويشفى ابنتها المريضة ، لا لشيء إلا لأن المرأة لم تكن من بنات إسرائيل . فقد ” خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا . وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم ، صرخت إليه قائلة : ارحمني ياسيد يا ابن داود . ابنتي مجنونة جدا . فلم يجبها بكلمة ! .

فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . فأنت وسجدت له قائلة : ياسيد ، أعنى . فأجاب وقال : ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين (الاسرائيليين) ويطرح للكلاب (كل من ليسوا من بني إسرائيل) !

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت — ج ١١ — ص ٢١٨ .

فقلت : نعم ياسيد . والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها .

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك . ليكن لك كما تريدن . فشفيت ابنتها من تلك الساعة — متى ١٥ : ٢١ — ٢٨ .

وإذا كان غير الاسرائيلين كلابا . فماذا بقى !؟

* *

ب — المرأة فى مسيحية بولس

المرأة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :

اعتنق بولس فكرة مسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، فألهب الفكرة وبرأ آدم صراحة من المعصية وتعدى حدود الله ، فقال : ” لست آذن للمرأة أن تُعَلِّم ، ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون فى سكوت . لأن آدم جبل أولا ، ثم حواء . وآدم لم يغر ، لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى — (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ — ١٤ “ .

المرأة دون الرجل :

” أريد أن تعلموا إن رأس كل رجل هو المسيح . وأما رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله .. كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها ، لأنها والمخلوقة شىء واحد بعينه . إذ المرأة إن كانت لا تغطى فليقص شعرها .. الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل — (١) كورنثوس ١١ : ٣ — ٩ “ .

” لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً .

ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئا ، فليسألن رجالهن فى البيت ،

لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة — (١) كورنثوس ١٤ : ٣٤ —
٣٥ . “

” أيها النساء : اخضعن لرجالكم ، كما للرب . لأن الرجل هو
رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ..
كما تخضع الكنيسة للمسيح . كذلك النساء لرجالهن فى كل
شئ — أفسس ٥ : ٢٣ — ٢٤ “ .

بولس والأسرة :

لقد دعا بولس إلى عدم الزواج ان أمكن فقال :
” حسن للرجل أن لا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد
امراته ، وليكن لكل واحدة رجلها ..
أريد أن يكون جميع الناس كما أنا (بلا زواج) — (١) كورنثوس
٧ : ١ — ٧ “ .

إن تعالينا كهذه لكفيلة بهدم نظام الأسرة فى العالم كله وإلحاق
الأذى بالمرأة التى هى نواة الأسرة ، والنتيجة الحتمية لذلك هى خراب
العالم ، خلافا لما أمر الله به . فلقد كانت تعاليم الله لأول أسرة على
وجه الأرض — آدم وحواء — تقول لهم : ” اثمروا ، وأكثروا ،
وأملأوا الأرض — تكوين ١ : ٢٨ “ .

وكانت هى ذاتها التعاليم لنوح وبنيه بعد الطوفان ، إذ قال لهم :
” اثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض — تكوين ٩ : ١ “ .

وبالنسبة للأرامل قال بولس : ” لا تكتب امرأة فى سجل الأرامل
إلا التى بلغت ستين سنة ولم تتزوج غير مرة واحدة .. أما الأرامل
الشابات فلا تقبلهن ، فإنهن إذ أغناهن الترف عن المسيح ، رغبن فى
الزواج ، واستوجبن القضاء ، لأنهن نقضن عهدهن الأول — (١)
تيموثاوس ٥ : ٩ — ١٢ “ .

وتقول ترجمة العهد الجديد للكاتوليك ، تعليقا على رأى بولس فى الأرامل : ” دعا بولس الأرامل فى(١) كورنثوس ٧ : ٨ — ٤٠ إلى الامتناع عن الزواج . ولكن الخبرة علمته بأنه الأفضل للأرامل الشابات أن يتزوجن “ وهكذا سارت الأمور فى التحليل والتحریم عبر القرون ...

* *

ج — المرأة فى ظل الكنيسة

لقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزى والعار من طبيعتها وكيانها البشرى . ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الاحباط فيها ، حتى ولو كانت تتعلق بزي ترتديه . فلقد كتب ترتليان — فى القرن الثالث — رسالة تعالج زى المرأة صَدَّرها إلى ” أفضل المحبوبات لإخواته فى الايمان “ ثم مالِث أن انزلق فيها من المحبة والاحترام إلى هجوم يذهل ، إذ يقول : ” إذا وجد إيمان على الأرض عظيم مثل ما نتوقع أن نعم به فى السماء ، فما كان لأى واحدة منكن أفضل لإخواتى المحبوبات اللاتى منذ أن عرفت الواحدة منكن الرب وعلمت حقيقة منزلتها — أن تشتهى زيا كثير البهجة . لقد كان حريابها أن تخرج فى زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى لحالها ، نادمة على ما كان ، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن مكفرا عما ورثته حواء : العار ، واقصد بذلك الخطيئة الأولى ، ثم الخزى من الهلاك الابدى للإنسانية .. ألسن تعلمن أن كل واحدة منكن هى حواء ؟! .

إن قضاء الله على جنسكن بالعقوبة موجود فى هذا العصر (الولادة بألم) وبالتالي فإن الشعور بالإثم يجب أن يكون موجودا أيضا .

أنتن المدخل الذى يلجأ إليه الشيطان : فانتن باكورة من ذاق الشجرة المحرّمة ، وانتن أول من تمرد على القانون الإلهى ، وانتن تلك المرأة التى اقنعت (بالأكل من الشجرة) ، إذ لم يكن لدى الشيطان القدر الكافى من الجسارة لكى يهاجم (آدم) لقد دمرت بمثل هذه السهولة الرجل الذى هو صورة الله . وبسب استحقاقكن للعقوبة — التى هى الموت — كان على ابن الله أن يموت أيضاً ،^(١) .

ثم كان تساؤل : لماذا خلق الله النساء !؟

تقول كارن ارمسترونج : ” ان أوغسطين تبدو عليه الحيرة عندما يتساءل عما إذا كان هناك سبب ، على الاطلاق ، من أجله خلق الله النساء !

فليس فى إمكان المرأة أن تكون صديقا ورفيقا معنا للرجل ، ومع ذلك ، إذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة ، فلقد كان من الأفضل كثيرا أن يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معا كصديقين ، بدلا من رجل وامرأة . فلقد كانت العلة الوحيدة التى من أجلها خلق الله النساء هى إنجاب الأولاد . ولقد كان لوثر يشارك فى هذا الرأى ، فلم يهتم بتأثير كثرة الولادة على النساء ، إذ كتب يقول : إذا تعبت النساء ، أو حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم . دعهن يمتن فى عملية الولادة ، فقد خلقن من أجل ذلك ،^(٢) .

ثم كان تساؤل أحقق : هل المرأة إنسان !؟

” لقد شاركت البروتستانتية تماما فى كره النساء الذى ورّثه الآباء إلى الكنيسة الكاثوليكية . فعندما ناقش اللوثريون ، فى وتبرج ، مسألة ما إذا كانت النساء حقيقة من بنى الإنسان ، لم يكونوا يناقشون شيئا

- Karen Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN, PP. 54 (١)

- 5 .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ — ٦٢ .

جديدا . فلقد كان اللاهوتيون متحيرين دائما حول مكانة النساء فى خطة الله (لخلاص البشر) .

ولقد كان توما الاكوينى متحيرا تماما، مثله مثلما كان أوغسطين من قبل ، فيما إذا كان هناك داع على الاطلاع ، إن يخلقها (الله) ، فكتب يقول : فيما يختص بطبيعة الفرد ، فإن المرأة مخلوق معيب وجدير بالازدراء . ذلك ان القوة الفعالة فى منى الذكر تنزح إلى انتاج ماثلة كاملة فى الجنس الذكري ، بينما تتولد المرأة عن عيب فى تلك القوة الفعالة ، أو حدوث نوعك جسدى ، أو حتى نتيجة لمؤثر خارجى .

إن القول بان طبيعة الفرد فى النساء معيبة ، إنما هى فكرة التقطها من آراء أرسطو فى علم الأحياء . فالذكر هو النموذج أو المعيار ، وكل امرأة إنما هى رجل معيب .

وفى مجمع ماسون ، فى القرن السادس ، كان على الأساقفة ان يصوتوا على مسألة : ما إذا كان للنساء أرواح أم لا ؟! ولقد فاز اقتراح الموافقة باغلبية صوت واحد ! “ (١) .

هل الزواج عقوبة للمرأة ؟!

” إن لوثر الذى يجعل النساء منبذات قسرا فى وحشة ومنفيات من عالم الرجال ، يرى فى الزواج عقابا للمرأة . لقد كتب يقول : إن هذا العقاب ينبع أيضاً من الخطيئة الأصلية ، وتحمله المرأة مكرهة تماما كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها . إن السلطة تبقى فى يد الرجل ، تجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله ، فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة . ويشن الحرب ، ويفلح

(١) المرجع السابق ص ٦٢ — ٦٤ .

الأرض ، ويني ويزرع .. أما المرأة ، فعلى العكس من ذلك ، فهي مثل مسمار يدق فى حائط . يجب أن تبقى فى المنزل وترعى الحاجات المنزلية ، مثل إنسان حرم القدرة على إدارة تلك الشئون التى تختص بالدولة ... بهذه الطريقة تعاقب حواء “ .

لم يتغير شىء ! قد يكون لوثر تصارع عقائديا مع روما ، ولكننا رأينا ، من وقت لآخر ، كيف ان الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر باختلاف الفكرى والعقائدى . فلا تزال المرأة هى حواء .

إن الصورة غير العادية للمرأة ، كمسمار يدق فى حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها : فهي بائسة لا عون لها ، تساق ، ويدق على رأسها ، لا يسعى وراءها من أجل إقامة مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية “ (١) .

خلاص المرأة المسيحية يجعلها رجلا !
” على الرغم من أن الكنيسة فى الغرب قد لا تسمح لعذارها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان اللاهوتيون واضحين فى أن العذراء البتول قد أصبحت رجلا شرفيا . لقد كتب جيروم يقول :
بما أن المرأة خلقت للولادة والاطفال ، فهي مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح . ولكن عندما ترغب المرأة فى خدمة المسيح أكثر من العالم ، فعندئذ سوف تكف عن أن تكون امرأة ، وستسمى رجلا . (تعليق جيروم على رسالة بولس إلى أهل أفسس) .

وإن امبروز واضح تماما فى أنه لكى تحصل المرأة على الخلاص بالنجاة من الخطيئة الأصلية ، فيجب أن تصبح ذكرا . لقد كتب يقول :
تلك التى لا تؤمن إنما هى امرأة ، ويجب أن تصنف باسم جنسها

(١) المرجع السابق ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .

(الانثوى) بينما تلك التى تؤمن إنما تتقدم نحو الرجولة الكاملة .
وآنذاك تتخلى عن اسم جنسها وغوايات الشباب وثرثرة العجائز .

فبالنسبة لامبروز ، يعنى خلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها ، وتصير
إنسانا كاملا بالغاً سن الرشد ، أى تصير ذكراً ،^(١) .

مذابح مروعة للنساء !

دأب الفكر الكنسي الغربى على إثارة جو متأجج بكراهية المرأة
والخوف منها ، استمد جذوره الأولى مما تحكيه الصفحات الأولى من
الكتاب المقدس عن الخطيئة الأولى التى تضع مسئوليتها فى عنق حواء .

ثم جاءت فكرة الخطيئة الأولى المتوارثة التى غرسها بولس فى
المسيحية — خلافاً لتعاليم المسيح — وتعهدها آباء الكنيسة ، حتى كان
أوغسطين هو الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية .

تقول كارن ارمسترونج : ” إن اعمال القمع فى الحضارة الغربية
لا ترى ظاهرة بوضوح إلا فى حالات الرعب الفجائى المتعاضم الذى
يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد
فجأة .. وكثيراً ما نسمى هذه الأعمال الجنونية : تعقب المتشيطانات
وقمعهن ، بسبب الجنون الشهير الذى تفجر فى اوربا خلال القرنين
السادس عشر والسابع عشر ، خاصاً بتعقب نساء السحر الأسود والتنكيل
بهن .. لقد دمرت تلك الحملات ، إلى أبعد حد ، العلاقة بين الجنسين
فى مجتمعنا (الغربى) وفى نهاية القرن الخامس عشر ، كان واضحاً
تماماً أن الكنيسة قد طبعت اوربا برعب من الأمور الجنسية وكراهية
للنساء وتفجرت كلها فى الحملات المتفرقة لتعقب المتشيطانات
وقمعهن ..

وطوال هذه الحملات كان يعتقد أن هناك شيطانا يمارس الجنس

(١) المرجع السابق ص ١٢٩ .

مع هؤلاء النسوة ، وكانت تعرف تلك الروح الشريرة باسم :
الحضون .

كما كان يعتقد ان تلك النساء المتشيطنات يمكنهن الطيران فى
الهواء ليلا لحضور الاحتفال بيوم الراحة الاسبوعى ، حيث يعبدن
الشیطان ، وينغمسن فى شعائر وحشية ، ويمارسن طقوعا جنسية
عرييـدية . وكان يعتقد كذلك ، ان هؤلاء النساء يمتلكن قوى سحرية ،
إذ كن فى تحالف مع الشيطان من أجل تدمير الجنس البشرى . كما
كانت لهن القدرة على اثاره العواصف واتلاف المحاصيل واحداث
العجز الجنسي للآخرين واصابتهم بالعقم والموت .

لقد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية . واعتقد كثير من الناس
بشدة فى وجود هؤلاء النساء المتشيطنات ، وان الواجب يفرض عليهن
قتل الآلاف منهن . ومن الصعب الآن معرفة عدد النساء اللاتى قتلن
خلال الجنون الذى استمر مائتى عام .. (وكمثال) نادرا ما تركت
أية امرأة على قيد الحياة فى بعض القرى السويسرية ،^(١) .

*

إنها خرافة وثنية !

” إن الاعتقاد الوثنى القديم بأعمال التشيطان هذه ، تسلم معموديته
المسيحية فى عام ١٤٨٤ عندما أصدر البابا انوسنت الثامن مرسوما
بابويا مذهلا ، حيث يظهر منه ان قلعا جنسيا انتشر فى ألمانيا بصورة
وبائية . فقد صار الرجال عاجزين عن ممارسة الجنس ، كما عجزت
زوجاتهم عن الحمل . وقد ارجع ذلك إلى النساء المتشيطنات اللاتى
أثرن — بقوة السحر — فى الجيران .

(١) المرجع السابق ص ٨٨ — ٩١ .

عندئذ كلف البابا اثنين من الآباء الدومينيكان هما : يعقوب شبرنجر ، وهينرش كريمير ، بتولي هذا الموضوع . ولقد كانت نتيجة عملهما المشترك هو إصدار دليل عمل بعنوان : مطرقة المتشيطانات . لقد كان كتيباً الغرض منه مساعدة المحققين فى تحرى أعمال المتشيطانات ، ثم أصبح المصدر الرئيسى لليونان التفتيش ، حيث تكررت منه تسع عشرة طبعة “ .

ويحاول شبرنجر فى هذا الكتيب ان يرهن على ان النساء قابلات لاغواء الشيطان أكثر من الرجال ، لأنهن اصلاً مخلوقات فاسدات ، ثم هو يطور نظرية اكويناس التى تقول بأن النساء هن أساساً مخلوقات بشرية مشوهة . لقد كتب شبرنجر يقول :

يجب ملاحظة أن هناك عيباً فى تكوين المرأة الأولى ، وحيث أنها من خلال هذا العيب تكون حيواناً مشوهاً فإنها دائماً تخادع ، وهذا ما تبينه دراسة أصل كلمة : ” أنثى “ وتاريخها (فى اللغات الأوربية) .

ذلك أن كلمة Femina تتكون من شقين هما : Fe - Minus ، فالكلمة تتضمن معنى النقص ، نظراً لأنها ضعيفة أبداً لا تستطيع التمسك بالإيمان والمحافظة عليه . (مطرقة المتشيطانات . ص ٤٤) .

كذلك كتب شبرنجر يقول :

ان كل أعمال شيطنة المرأة إنما تتبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع . فهناك (حسب الكتاب المقدس) ثلاثة لا تشبع ، وأربعة لا تقول كفى : ذلك هو فم الرحم (سفر الأمثال : ٣٠) .

وبناء على ذلك فإن النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى ولو كان الشيطان (مطرقة المتشيطانات ص ٤) .

وتستمر مطرقة المتشيطانات فى إلقاء مسئولية الشهوة الجنسية على

النساء ! ان شبرنجر يشكر الله بحرارة على ان الرجال متحررون من أعمال الشيطنة : فحيث ان الرب كان راضيا ان يحمل به فى البطن ويقاسى من أجلنا ، فقد أنعم على الرجال بهذا الامتياز .

إن الانطباع المذهل من هذا القول هو ان الله لم يخلص النساء أو لم يمت من أجلهن ، ولهذا أسلمهن إلى الجنس ، ومن ثم إلى الشيطان ، (١) .

أثر الإسلام فى احترام الأم والزوجة :

تقول كارن ارمسترونج : ” إن الام الإيطالية ، التى لها عميق الاحترام والنفوذ فى أسرتها ، إنما تشبه فى ذلك النساء غير المسيحيات فى عالم البحر الأبيض المتوسط مثل الأمهات العربيات المسلمات ، أكثر إلى حد كبير من شبهها لإخواتها المسيحيات فى انجلترا أو المانيا ، حيث لا تتمتع تلك الأمهات بنفس المكانة ، وفى أسبانيا التى تأثرت بقوة بالفتح الإسلامى فقد تأثرت بالمفاهيم الإسلامية الخاصة بالجنس والموقف من النساء .

وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم ، فإنما ذلك دليل على شدة احترامه لهن بما يجعله يربأ بهن عن مخالطة عالم الأسواق الخطر الدنىء .

وهناك شواهد على ان النساء الغربيات اللاتى استقر بهن المقام فى مملكة أورشليم ، ابان الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، قد اكتسبن احتراماً من المؤكد ان إخواتهن فى اوربا لم يتمتعن به فى القرن الثانى عشر الذى اشتهر بكراهية النساء ، وانهن قد اكتسبن هذا الاحترام من اتصالهن بالإسلام . وقد بدأ الكثير من نساء الصليبيين فى ارتداء الحجاب ، بعد أن رأين المكانة والاحترام اللذان يوفرهما

(١) المرجع السابق ص ٩٣ — ٩٥ .

للنساء المسلمات ، (١) .

أما بعد ، فهذا قليل من كثير مما يمكن أن يقال في هذا الموضوع الخطير .

وكما قال المسيح دائما : من له أذنان للسمع فليسمع .

(١) المرجع السابق ص ٤٢ ، ٦٣ .

٣ — المرأة في الإسلام

آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الأولى :

رأينا كيف جعل الكتاب المقدس المرأة هي المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى ، وصار ذلك معتقداً ثابتاً في اليهودية والمسيحية . أما في الإسلام فإن الموقف يختلف تماماً ، ذلك أن القرآن يقرر — بصريح العبارة — مسئولية آدم عن تلك الخطيئة ، وإن شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة . فالله يقول في القرآن :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً ، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس إليه الشيطان ، قال يا آدم : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (سورة طه : ١١٥ — ١٢٢) .

لقد استغفر آدم وامرأته ربهما بعد هذه الخطيئة ، إذ

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

(سورة الأعراف)

الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾

وما كان الله ليضيعهما ، وله — سبحانه — من الأسماء الحسنى ما إذا
دعى به ، فإنه يفعل فعله مثل : الغفور الرحيم .

﴿ كَتَبَ ﴾

رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا
بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾

[سورة الأنعام : ٥٤] .

﴿ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّابٌ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

[سورة البقرة : ٣٧] .

ليس في الإسلام — إذن — خطيئة أصلية تتحمل إثمها المرأة ، وليس
فيه قول بخطيئة يتناقلها الأبناء عن الآباء . فما جاءت مثل تلك المزاعم
إلا في مسيحية بولس ، والمسيح منها براء .

إن المسؤولية في الإسلام فردية . وهو ما يتفق وعدل الله :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ [سورة المدثر : ٣٨] .

﴿ الْأَنْزِرُ وَالْزُرُّ وَأُخْرَى ﴾

﴿ ٣٨ ﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ

يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾

[سورة النجم]

” النساء شقائق الرجال “ :

ليس هذا كلام كاتب هذه السطور ، إنما هو حديث سيدنا رسول الله
ﷺ وتعاليمه للمسلمين . وهو حديث رواه أبو داود وهو يكفي — بالإضافة
إلى ما سبق بيانه عن مسؤولية آدم عن الخطيئة البشرية الأولى — ليكون
ملخصاً لمكانه المرأة في الإسلام .

إكرام الأم أضعاف إكرام الأب :

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر سابقاً :

”والقرآن لا يقف في هذا المقام عند حد التسوية بين (الوالدين) في واجب الإحسان والإجلال ، بل يخطو خطوة ثانية فيرشد إلى ما للوالدات من جهود مضية في تربية الأبناء ، ليس شيء منها للوالد . وترى ذلك في مثل قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ (سورة لقمان : ١٤) .

وفي قول الرسول — عليه السلام — جوابا عن سؤال رجل : من أحق الناس بحسن بصحabetي يا رسول الله ؟ .
قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك . “ (١)

ولقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الوالدين ، حتى ولو كانا كافرين ويقتضي الإحسان إليهما : دوام الصلة ، والخدمة والعطاء ، والكلمة الطيبة ...

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

(سورة لقمان : ١٥)

ولقد اعتبر الإسلام السعي على الوالدين وإكرامهما بمثابة الجهاد في سبيل الله . فعن عبد الله بن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يسأله أن يجاهد . فقال له النبي : أحبي والداك ؟ قال : نعم قال : ففيهما جاهد . (رواه البخاري) .

الترحيب بالأثنى منذ ولادتها :

يرحب القرآن الكريم بالأثنى منذ مولدها ، ويعتبرها هبة من الله تماثل

(١) الإسلام : عقيدة وشريعة . الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت . ص ٢٢٠ —

هبة الذكر تماماً . بل إنه لجعلها في الترتيب سابقة للذكر :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۚ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا

وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ (سورة الشورى)

وكل هبة إنما هي نعمة من الله تتطلب الحمد والشكر . ولا يكون
الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد ، بل إنه يتمثل في الحفاظ عليها
ورعايتها وتنميتها وحسن استخدامها .

ولقد سفّه القرآن أعداء الأنثى في كل زمان ومكان ، فقال :

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ

٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ

أَم يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ (سورة النحل)

المرأة أهل للمسئولية الكاملة :

” إن الإسلام يقرر أيضا في تربية الفطرة التي خلقت عليها المرأة ،
وهي : الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم ؛ أن المرأة ذات مسئولية
مستقلة عن مسئولية الرجل : مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن
بيتها وعن جماعتها . وهل لا تقل في مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها
الرجل :

﴿وَمَنْ

يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤﴾ [سورة النساء]

وليس في الإمكان ما يؤدي به معنى المساواة أوضح من هذه الكلمة
التي تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة ، والتي تتجلى في حياتهما المشتركة
دون تفاضل أو سلطان : ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب
مما اكتسبن ۝١٢٤﴾ .

وللمرأة الحق في الوصية — مثل الرجل سواء بسواء — وهذا يعني تمتعها بكامل الأهلية :

﴿ من بعد وصية يوصين بها ﴾ (سورة النساء : ١٢) .
وليس أدل على مساواة المرأة في المسؤولية كالرجل سواء بسواء ،
من أن للنساء حق البيعة كالرجال . وهذا يعني أهليتهن الكاملة للوفاء
بمقتضيات العهود والمواثيق ، والتي تعتبر من أخطر الأمور في الإسلام :

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

سورة الممتحنة : ١٢

إن أهلية المرأة للبيعة تعني تمتعها بالأهلية السياسية .

مسئولية المرأة العامة :

” لقد صرح القرآن بمسئوليتها في ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين
أخيها الرجل في تلك المسؤولية ، كما قرن بينها وبينه في مسؤولية
الإنحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة التوبة) .

إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي أكبر مسؤولية
في نظر الإسلام ، وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل
والمرأة .

وإذن ، فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اعتماداً على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، إذ أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب .

فليعلم ذلك نساؤنا ، وليفقهن حكم الله فيهن ^(١) .

في بيت الزوجية :

— أقر الإسلام حق المرأة في عقد الزواج ، وبدون موافقتها يكن العقد باطلاً . وبذلك أصبحت المرأة طرفاً في العقد بدلاً من وليها .

ولقد روى البخاري أن امرأة تدعى خنساء بنت خدام الأنصارية ، زوّجها أبوها من رجل بدون رضاها ، فأتت رسول الله ﷺ وشكت إليه أمرها ، فرد نكاحه .

وعن عبد الله بن عباس قال : جاءت فتاة بكر إلى رسول الله ﷺ فشكت له أن أباهاً زوّجها من رجل وهي كارهة له ، فخيرها النبي بين قبوله أو رفضه . (رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه) .

— ولم تعتبر الشريعة الإسلامية المهر ثمناً للمرأة كما كان في الجاهلية وفي شرائع سابقة ، وإنما اعتبرته هبة من الرجل أو هدية ، وسمته صداقاً ، دليل صدق على جدية مشروع الزواج .

﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ (سورة النساء : ٤) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : كان الرجل في الجاهلية إذا زوّج

(١) المرجع السابق . ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

ابنته أخذ مهرها ، فنهاهم الله عن ذلك ونزلت الآية .

— إن المرأة سكن للرجل ، يجد فيها راحته ورضاء نفسه . والرجل سكن للمرأة ، تأمن في كنفه وتسعد بجواره . وبين الزوجين تكون علاقات نفسية وجسدية ذات طابع خاص لا مثيل له في سائر العلاقات الأخرى . فهي علاقات متبادلة ، وعلاقات تكامل لا مجال للحديث فيها عن سيادة أو تسلط أو امتلاك . فهناك علاقة عاطفية تفيض مودة ورحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم) .

وهناك علاقة عقلية يحكمها العدل .
﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (سورة البقرة : ٢٢٨) .
﴿ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ (سورة النساء : ١٢٩) .

— ويؤكد القرآن على ضرورة معاشرة المرأة بالمعروف : فإذا كان الزواج قد جاء نتيجة حب ، أو جاء الحب بعد الزواج ، فإن خبرات الحياة تؤكد أن عوامل الزمن وتقلبات الأحوال لابد أن تفعل فعلها فيما بين الزوجين من علاقات قد يصل بها إلى حد الكراهية . وهنا يحضُّ القرآن الرجل على التمسك بزوجه إلى أقصى حد ، وبغيره بالصبر على ما طرأ على شعوره نحوها من بغض وكراهية ، فلعلها مع ذلك تكون خيرا له من كثيرات غيرها :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء

— والمرأة راعية البيت ، كما أن الحاكم راع للمحكومين . فقد قال رسول الله ﷺ : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته . (رواه البخاري) .

وإذا جئنا إلى موضوع الإنفاق ، وما يقال أحياناً عن إمساك بعض الرجال أيديهم مقابل إسراف بعض الزوجات ، نجد حديثاً لعائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسبت ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً . (رواه البخاري) .

ولم يرد نص في الشريعة الإسلامية يلزم المرأة بالإنفاق على نفسها من مالها إن كان له مال ، أو يلزمها بالإنفاق على زوجها وأولادها إن كان الزوج معسراً أو عاجزاً عن العمل وكانت هي موسرة .

وقد أخذ رجال الفقه الإسلامي بالنصوص التي تلزم الرجل بالإنفاق على زوجته ، وأعطوها حق الافتراق عنه إذا قصر في الإنفاق عليها .

ولم تبح الشريعة للرجل أن يأكل من مالها إلا إذا كان عن طيب نفس منها : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوْهُ هٰذَا بِمَآرِبَةٍ ﴾ (سورة النساء : ٤) .

— وإذا كانت الشورى مبدأً إسلامياً أساسياً للمجتمع الكبير مجتمع الشعب ، فإنها كذلك أساس المجتمع الصغير مجتمع الأسرة ، وقد جاء في صريح القرآن فيما يتعلق بحق ابداء الرأي في فطام الطفل

ورضاعه . فلم يجعل للرجل ولا للمرأة حق الاستئثار به دون الرجوع إلى صاحبه :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ
وَالِدَةٌ يُؤَلَّفُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُؤَلَّفُهَا عَلَى الْوَارِثِ مِثْلَ ذَلِكَ
فَإِنْ أَرَادَ إِفْصَالٌ عَنْ تَرَضُّعٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَاعِلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(سورة البقرة : ٢٣٣) .

حقوق موزعة على الزوجين : ارضاع على الزوجة ، ونفقة على الزوج ، دون إرهاق ولا مشقة ، ودون مضارة أو إيذاء . ثم تشاور في الرأي وتراض من جهة الرضاع .

مشاكل تهدد الحياة الزوجية :

لا يخلو بيت من مشاكل ، وان اختفت حيناً فلا بد أن تظهر في أحيان كثيرة . فهذا واقع الحياة وهو واقع مشهود ومحسوس .

وفي سبيل الحفاظ على الحياة الزوجية واستمراريتها ، وضع القرآن تعاليماً للزوجين تساعد على تحقيق ذلك ، إن صدقت عزيتهما .

وتسير خطوات المعالجة متسلسلة كالآتي :

١ - الزوجان يبدآن الإصلاح :

فهما اعلم بما بينهما ، وهما أقدر الناس على تدارك الشقاق وفتور العلاقات بينهما . وقد تكفى كلمة عتاب رقيقة ، واعتذار عن هفوة ،

فى إصلاح ما بينهما وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ [سورة النساء : ١٢٨]

٢ - الحكمان يحاولان الاصلاح :

وإذا عجز الزوجان عن الاصلاح بينهما ، وسارت الأمور إلى الأسوأ ، فلا مناص من تدخل خارجى ويكون ذلك باختيار حكم من قبل الزوج ، وحكم من قبل الزوجة ، يفترض فى كل منهما الحرص على استمرارية الحياة الزوجية

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٣٥]

٣ - أبغض الحلال إلى الله الطلاق :

وإذا فشلت كل الوسائل لتحقيق المصالحة بين الزوجين ، وبدت المعيشة بينهما مستحيلة ، فلا مناص من اللجوء إلى الطلاق الذى سماه رسول الله : أبغض الحلال إلى الله .

على أن الطلاق فى الإسلام لا يعنى الفرقة الدائمة بين الزوجين إلا فى حالة خاصة ، وفيما عداها فهو تفرقة بينهما إلى حين ، لعلها تكون عاملا نفسيا يساعد على تهدئة النفوس الثائرة وتضميد الجراح الحقيقية و المتوهمة . وهنا يسير الطلاق وفق قيود وضوابط ، تعمل جميعها من أجل كبح الفرقة الدائمة كالاتى :

أ - الطلاق فى طهر :

فقد طلق ابن عمر امرأته وهى حائض فقال له رسول الله ﷺ ان يراجعها ، فردها . ثم قال ﷺ : إذا طهرت فليطلق أو يمسك .

ب — الرجوع عن الطلاق في فترة العدة :

تعرف العدة بأنها المدة التي تتربص فيها المرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها كي يحل لها الزواج من غيره . وقد أمر الله بإحصاء العدة نظرا لأهميتها في الحياة الزوجية ، فقال : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ [سورة الطلاق : ١]

وبالنسبة للمرأة العادية ، ذات الحيض المنتظم ، فقد حدد القرآن العدة بثلاث قروء ؛ فقال : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي

أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨]

والقراء — لغة — هو الحيض ، وهو أيضا الطهر ، فهو من الأضداد ، وبذلك يكون على المطلقة أن تمكث بعد طلاق زوجها لها طلاقا صحيحا مدة ثلاثة قروء ، أي بعد وقوع ثلاث حيضات بعد الطلاق ، قبل أن يحل لها الزواج بآخر .

ولقد أمر الله بابقاء الزوجة المطلقة في منزل الزوجية خلال فترة العدة ، إلا في حالة ترددها في البذاءة والفحشاء . بل أن الله كرمها إذ سمى منزل الزوجية بيتها ، فقال :

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ .

[سورة الطلاق : ١]

ولا شك أن الحكمة من فترة العدة ومعيشة الزوجين خلالها في بيت

الزوجية الذى سماه الله بيتها — من غير معاشرة جنسية — إنما لتكون سبيلا إلى استعادة النفوس صفاءها وتضميد الجراح .
 وخلال فترة العدة يستطيع الزوج مراجعة زوجته وإعادتها لعصمته دون حاجة إلى عقد جديد أو مهر جديد :

﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ .

[سورة البقرة : ٢٢٨]

لكن الأمر ليس عبثا ، فقد حسبت هذه طلاقا .

ج — الطلاق مرتان : —

لقد سمح الله بإيقاع الطلاق مرتين اثنتين فقط ، يستطيع الزوج خلال عدتها مراجعة زوجته دون عقد ومهر ، كما يحق له ان يعود إلى الزواج منها إذا انقضت عدتها ولم يراجعها فيها ولم تتزوج هى من رجل آخر .
 أما إذا أسرف الزوج على نفسه ووقع بزوجه الطلقة الثالثة ، فقد بانت منه بينونة كبرى . وسواء انتهت الحياة الزوجية بالطلاق ، أم استعيدت مرة أخرى ، فقد أمر الله — سبحانه — بالمعروف والإحسان بين الزوجين :

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ

فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَمَّا آتَيْنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

[سورة البقرة]

د — حقوق للزوجة :

ويحق للمرأة أن تجعل العصمة بيدها في عقد الزواج ، كما يحق للزوجة أن تطلب الطلاق من القاضى ، بعد اثبات استحالة دوام العشرة مع زوجها .

وأیضا يحق للزوجة المطلقة أن ترث في زوجها إذا مات قبل أن تنقضى عدتها .

وأخيرا فمهما تكن مرارة وضع الزوجين بعد افتراقهما بالطلاق ، فيجب ألا يكون ذلك نهاية الحياة لأى منهما . فلعل الله يعوض كلا منهما بمن هو خير ، وما ذلك على الله بعزيز . بل لعل هذا الأمل هو ما يثبته قول الله في النفوس التى اکتوت بنار الفراق :

﴿ وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كِلَا

مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَسِيعًا حَكِيمًا ۝۱۳ ﴾ .

[سورة النساء : ۱۳]

مسئوليات الرجل بعد الطلاق :

فرض الله على الرجال معاشره زوجاتهم بالمعروف ، فقال سبحانه

[سورة النساء : ۱۹]

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

وإذا حدث طلاق ، ثم ارجع الرجل زوجته إلى عصمته عاد القرآن ليؤكد من أخرى ضرورة امساكها بمعروف وليس من أجل ايقاع الضرر بها ، فقال : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّلْعُنُودِ وَأُوْمَن يَفْعَلْ

[سورة البقرة : ۲۳۱]

ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ ﴾

أما إذا كان الفراق ، فقد أمر الله ان يكون ذلك أيضا بالمعروف

والإحسان ، فقال : ﴿ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ .

[سورة البقرة : ۲۳۱]

ولما كان المعروف والاحسان يمكن أن يشتمل على جانب أخلاقي يتمثل فى المعاملة والسلوك ، وجانب آخر مادى يتمثل فى البذل والعطاء ، فقد أكد القرآن على قيام الرجل الذى طلق زوجته بدفع تعويض مادى لها سماه متعة ، تقوم حياتها به فى فترة ما بعد الطلاق إلى أن يجعل الله لها مخرجا من أزمته . وقد اعتبرت هذه المتعة حقا للمطلقة ، فقال سبحانه : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى

[سورة البقرة : ٢٤١]

﴿ الْمُتَّقِينَ ﴾

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤١﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصِفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[سورة البقرة : ٢٣٦ — ٢٣٧]

وبالنسبة للاسكان والانفاق ، وخاصة ذوات الأحمال منهن ، يقول الله ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُنَّ بِأَيْتِنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لهُ أُخْرَى ﴿٢٣٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ٦ — ٧]

لقد رأينا كيف يقوم الطلاق فى التوراة على مجرد ورقة مكتوبة يعطيها الرجل لمطلقاته . ثم جاءت تعاليم الانجيل لمنع الطلاق إلا لعدة الزنا ، حسب قول متى . أما فى القرآن ، فهناك مواجهة لواقع الحياة الذى برهن على حاجة الحياة الزوجية إلى اللجوء إلى الطلاق كمتنفس أخير وعلاج بغض لا بد منه فى بعض الحالات . لكن هذا العلاج تسبقه خطوات واجراءات تكبح اللجوء إليه ، ثم تعقبه تبعات ومسئوليات يتحمل الرجل الغرم المادى فيها بوجه عام .

الأعباء المالية للرجل :

ذكرنا فيما سبق ، بعض الأعباء المالية التى تلزم الشريعة الإسلامية الرجل بتحملها وخاصة فى مجال الانفاق على بيت الزوجية ، بل هو مسئول قبل ذلك عن تدبير المسكن المناسب لزوجته . ونريد الآن استعراض أهم الأعباء المالية التى يلتزم بها الرجل فى حياته الزوجية والاسرية .

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت أن الشريعة الإسلامية قضت « ان يحتمل الرجل نفقات الأسرة من زوجة وبنين وأقارب . وأن يحتمل المرأة تدبير البيت ، وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال ، والقيام على أمرهم .

وفى ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة ان المرأة أسعد حظا من الرجل فى نظر الإسلام : فقد أوجب لها مهرا لاحد لأكثره : ﴿ وَءَاتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء : ٢٠]

وأوجب لها على الرجل : نفقتها وكسوتها وجميع ماتحتاج إليه بالمعروف لبيتها ، حتى أوجب الخادمة والخادمتين :

﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ [سورة الطلاق : ٧]

وأوجب لها إذا ما طلقت : نفقة العدة ، على نحو ما وجبت لها في حياتها الزوجية . وأوجب لها المتعة ، وهي ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤١]

أما الرجل فهو كما قلنا مطالب بنفقته على نفسه وعلى أولاده وعليها ، وعلى نوائب الحياة كلها التي تنشأ من مكافحته فيها ثم على والديه وأقاربه ان كانوا ضعافا أو فقراء . واذن فبماذا يمتاز الرجل عنها ؟! ، (١) .

إن الرجل مطالب — اذن — بكافة الأعباء المالية ، أما المرأة ، الزوجة ، فلا تطالب بأى شىء . ان جادت بشىء من مالها فذاك فضلها ، وان أمسكت فذاك حقها ، ولا تثريب عليها . إن العدل يقضى بأن يؤخذ هذا فى الاعتبار عند الميراث .

* *

ميراث المرأة :

نص القرآن على مبدأ توريث الإناث كطرف مقابل للذكور ، بصرف النظر عن حجم التركة ، فقال :

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ وَلِلنِّسَاءِ مَقْرُوضًا ۚ ﴾

[سورة النساء : ٧]

إن ذلك إجمال أعقبه تفصيل وتحديد لنصيب كل وارث ، فنعلم

منه :

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ .

أولاً : نص القرآن الكريم على المساواة في الميراث بين الذكر والأنثى في حالات :

١ — فيما بين الأخ والأخت لأم في إرثهما من أخيهما ، إذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث :

﴿ وَإِنْ كَانَ
رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾
[سورة النساء : ١٢]

٢ — فيما بين الأب والأم في إرثهما من ولدهما إن كان له ولد :

﴿ وَلَا بُوْيَهٗ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ
كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ .

[سورة النساء : ١١]

ثانياً : نص القرآن على جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى في حالات :

١ — في حالة وجود أولاد للمتوفى ، ذكورا وإناثا :

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١]

٢ — في حالة التوارث بين الزوجين ، حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هي منه :

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا
تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ

وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ
فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ
مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ ذَيْنَ .

[سورة النساء : ١٢]

ويلزمنا في هذه الحالة أن نتذكر الأعباء المالية الملقاة على عاتق الرجل وقد أعفيت منها المرأة ، لنعلم الحكمة من التوريث هنا حسب قاعدة : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ فهذا عدل لا مراء فيها . اقتضته الموازنة السليمة بين حقوق الرجل وواجباته ، مترجمة في صورة مالية .

✱

لقد أبطل الإسلام قاعدة : لا ترث الاناث إلا عند فقد الذكور ، والمعمول بها في الشرائع السابقة ، فأصبحت البنات يرثن في أبيهن المتوفى سواء ترك أبناء ذكورا أم لا ، وترث الأم في ابنها المتوفى مع أبيه ان كان لا يزال على قيد الحياة ، أو بدون أبيه ان كان قد توفى ، وترث الزوجة في زوجها المتوفى كما يرث الزوج في زوجته المتوفاة . وصار حقا على المرأة المسلمة أن تحمد الله على ما آتاها من فضله ، وبعض هذا الفضل أن لها نصيبا مفروضا في الميراث تقيم به حياتها — والمال عصب الحياة كما يقال — وتثبت به كيائها كإنسان كرمه الله . فالذكر والأنثى في ميزان الحق سواء . إن هذا ما يقرره القرآن في قوله الكريم :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ

ذَكَرٍ أَوْ أَنثًى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٥]

شهادة المرأة :

يتوقف الحكم فى مختلف القضايا بين الناس على شهادة الشهود وما تتم به البينة من أدلة قوية لا يتسرب إليها الاحتمال ، تتفاعل جميعها فى فكر القاضى ، فيصدر حكمه وفقا للقانون وهو مستريح الضمير .

وهناك أنواع من القضايا لا يتوقف الحكم فيها على مجرد اتفاق عدد من الشهود حول واقعة ما ، بل تكون المصادقية متوقفة على خبرة الشهود ونوعيتهم ، لا على عددهم . مثال ذلك : تقارير الطب الشرعى ، وخبراء البصمات ، ومكافحة التزييف .. الخ ، والله يقول : ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [سورة فاطر : ١٤]

ومن هنا تنوعت المواقف بالنسبة لشهادة المرأة : —

١ — فهناك مواقف تكون فيها شهادة المرأة كشهادة الرجل تماما :

وفى هذا يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : « نص القرآن على أن المرأة كالرجل — سواء بسواء — فى شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجته وليس له على ما يقول شهود :

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة النور : ٦ — ٩]

أربع شهادات من الرجل يعقبا استمطار لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ؛ ويقابلها ويطل عملها أربع شهادات من المرأة يعقبا

استطاع غضب الله عليها ان كان من الصادقين » (١) .

٢ - وهناك مواقف تكون فيها شهادة امرأتين مكافئة لشهادة رجل :

وذلك فى مقام المعاملات المالية والتجارية ومعاملات الأسواق وما إلى ذلك . ولقد جاء هذا فى آية الدين التى تعتبر أطول آية فى القرآن :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ لَهُ فليُملِلْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢٨٢]

(١) المرجع السابق ص ٢٤١ .

يقول الشيخ محمود شلتوت : « المقام مقام استيثاق على الحقوق ، لا مقام قضاء بها . والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقها ، وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضى . فإن أقصى ما يطلبه القضاء هو البينة . وقد حقق العلامة ابن القيم أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وإن كل ما يتبين به الحق . ويظهره هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم . ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن . والآية جاءت على ما كان مألوفاً فى شأن المرأة — ولا يزال أكثر النساء كذلك — لا يشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبيعات . واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى الأصل الذى تقضى به طبيعتها فى الحياة » .

٣ — وهناك مواقف تكفى فيها شهادة المرأة وحدها :

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : « نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيها شهادة المرأة وحدها . وهى القضايا التى لم تجر العادة بإطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة ، والبركة ، وعيوب النساء فى القضايا الباطنية .

٠ يقول الحق سبحانه : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیْنَ

بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيْ

أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨]

فهذه من المواقف التى تقبل فيها شهادة المرأة وحدها ، اعتماداً على صدق إيمانها ، واستثارة للوازع الدينى ، وازع الضمير اليقظ .

ودل هذا على أن المرجع فى هذا اليهن ، لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن ، ويتعذر إقامة البينة غالباً على ذلك ، فرد الأمر إليهن ،

وتوعدهن فيه لثلا يخبرن بغير الحق ، اما استعجالا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها فى تطويلها ، لما لها فى ذلك من المقاصد “ (١) .

عقوبة لحماية سمعة المرأة :

نص القرآن على عقوبة لمن يتعرض كذبا بالسوء لسمعة المرأة ، تعرف بحد القذف ، وذلك نظرا لخطورة تلك الجريمة على حياتها وحياة أسرتها ومستقبلها :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [١] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾

[سورة النور : ٤ — ٥]

وقد عد رسول الله قذف المحصنات من الذنوب الكبائر ، فقال : ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات ﴾ . قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (رواه البخارى ومسلم) .

وما من شك فى أن شعوب أوربا ، ونساءها بوجه خاص ، كانت فى أشد الحاجة لتطبيق حد القذف على أولئك الظلمة من أهل السلطة الدينية وأتباعهم ، الذين أثاروا موجات مجنونة ضد النساء عرفت باسم : تعقب المتشيطانات وقمعهن ، بزعم أن أولئك المضطهدات كن يمارسن الجنس مع الشيطان . ولم يكن من شهود سوى الشبهات ،

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

وانتزع الاعترافات منهن تحت وطأة التعذيب الوحشى .

وإلا ، فأى عاقل هذا الذى يستطيع الشهادة بأنه رأى امرأة تمارس الجنس مع الشيطان ؟!..

وبعد .. لقد تعمدت أن تكون أغلب مادة هذا البحث الخاص بمكانة المرأة فى الإسلام مما سطره قلم الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت — شيخ الأزهر السابق — وذلك نظرا لكونه رأس أقدم مؤسسة تعليمية دينية تمتد جذورها لأكثر من ألف عام ، وتمتد أشعاعاتها العلمية والثقافية والروحية فى شتى أرجاء العالم الإسلامى ، لا بل أرجاء العالم كله . ويكفى التذكرة بأن أوروبا لم تعرف نظام أستاذ الكرسى فى جامعاتها التى أنشئت بعد الأزهر بقرون عديدة ، إلا نقلا عن الأزهر العريق .

كذلك اختتم بقول فضيلته : « وبعد .. فهذه عدالة الإسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة . وهى عدالة تحقق أنهما فى الإنسانية سواء » ^(١) .

* * *

(١) لمزيد من التفاصيل فى موضع المرأة فى الاديان ، راجع كتاب المؤلف : تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام .

شكل الكون حسبما جاء في الكتاب المقدس

تقرر حقائق العلم الحديث مجموعة من المعطيات التي تتعلق بخلق الكون ومكوناته ، نذكر منها :

— الشمس نجم متوسط الحجم والعمر ، ويعتبر واحداً من بين ملايين — لا ، بل من بين بلايين — النجوم التي تملأ السماء . وقد انفصلت عنها أجزاء مختلفة الكتل والأحجام تعرف بالكواكب السيارة التي تدور حولها . وبنفس الطريقة انفصلت كتل أخرى من بعض الكواكب وصارت تدور حولها ، وتسمى هذه الكتل أقماراً . فالأرض تعتبر بنتاً للشمس ، كما يعتبر القمر ابناً للأرض .

— ولقد أدت دراسة الطيف الشمسي إلى الكشف عن ماهية العناصر الموجودة في الشمس ، وتبين أن أكثر من ٦٠ ٪ من العناصر الأرضية المعروفة ثبت وجودها هناك . ومن الجدير بالذكر أن غاز الهيليوم اكتشف في الشمس قبل معرفته في الأرض بنحو عشرين عاماً .

— والشمس والنجوم كلها مضيئة بذاتها ، أما القمر فإنه منير نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على سطحه .

— للأرض حركة دورانية حول محورها مرة كل يوم ، يتج عنها تعاقب

— للقمرة دورة حول الأرض مرة كل شهر تقريبا .

وتنتظم شمسنا مع حشود هائلة من النجوم تكون في مجموعها شكلا هندسيا بديعا كالقرص ، يعرف باسم المجرة . وبصورة أدق فإن المجرة التي تقع فيها شمسنا ترى على هيئة عدسة محدبة الوجهين ، لها دائرة استوائية تقسمها إلى نصفين متماثلين تماما . ويبلغ قطر المجرة ١٠٠ ٠٠٠ سنة ضوئية ، بينما يبلغ سمكها ١٠ ٠٠٠ سنة ضوئية وتقع الشمس — ومجموعتها ومنها الأرض — بين دفتي الحافة الرقيقة على بعد ٣٠ ٠٠٠ سنة ضوئية من المركز ، وهي تسبح كغيرها من نجوم المجرة — التي تبلغ نحو ٤٠ ٠٠٠ مليون نجم ! حول المحور العمودي . والسنة الضوئية = ٦٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميلا (٦ مليون مليون ميلا) وفي الكون ملايين المجرات ، وقد أمكن إحصاء أكثر من ١٠٠٠ مليون مجرة ، تحتوي الواحدة منها — في المتوسط — على ١٢٠ ٠٠٠ مليون نجم ! .

— إن وجود الشمس يجب أن يسبق مكونات الحياة الأرضية :
فحرارة الشمس لازمة لتبخير مياه البحار وتكوين السحب ثم نزول
الأمطار . وضوء الشمس لازم لحياة النبات — وهو بالتالي لازم
لحياة الحيوان والإنسان — ذلك أن اليخضور (الكلوروفيل)
الموجود في بلاستيدات النبات الأخضر يقوم باستقبال ضوء الشمس
وتخزينه ، فتحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية تقوم بربط الماء
مع ثاني أكسيد الكربون في بنائات جزيئية صغيرة . ثم تترابط هذه
في دورة معقدة ، مكونة سكريات وأحماضاً أمينية وبروتينات .. الخ .
هذا — ويبدأ ” الكتاب المقدس “ بالحديث عن عملية خلق

الحياة على الأرض ، فيقول :

” في البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن : نور ، فكان نور .

ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا .

وكان مساء وكان صباح : يوماً واحداً — تكوين ١ : ١ — ٥ “ .

إن هذا يعني أن اليوم الأول من أيام الخلق الستة قد شهد : خلق النور ، وتعاقب الليل والنهار لتكوين المساء والصباح .

ولما كان النور يأتي من الشمس ، وكان تعاقب الليل والنهار يحدث نتيجة لدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس ، فإن اللازم الذي لا مفر من التسليم به هو أن يكون خلق الشمس قد تم قبل ذلك .

لكننا نجد أن الشمس لم تخلق هي والقمر والنجوم والكواكب ، إلا في اليوم الرابع . إذ يقول سفر التكوين :

” وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل . وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكون أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض . وكان كذلك .

فعمل الله النورين العظيمين : النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل . وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض .. وكان مساء وكان صباح : يوماً رابعاً — ١ : ١٤ — ١٩ “ .

كذلك نجد أن اليوم الثالث قد شهد خلق النبات على اختلاف أنواعه وثمره :

” وقال الله لتنبث الأرض عشبا وبقلا يبرز بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه .. وكان كذلك . فأخرجت الأرض عشبا وبقلا .. وشجرا

يعمل ثمرًا .. وكان مساء وكان صباح : يوما ثالثا — ١ : ١١ —
١٣ “ .

أي أن النبات خلق قبل خلق الشمس والنجوم ، وهذا أيضا يتنافى مع
حقائق العلم المعروفة .

*

ومن المفهوم أن النورين العظيمين اللذين خلقا لحكم النهار ولحكم
الليل هما : الشمس والقمر . وهو ما صرح به المزمور ١٣٦ في قوله :
” الصانع أنوار عظيمة .. الشمس لحكم النهار .. والقمر والكواكب
لحكم الليل “ .

* *

هذا — ولقد قام علماء الترجمة الإنجليزية المراجعة^(١) للكتاب
المقدس وعددهم ٣٢ عالما متميزا — بإخراج هذه الترجمة الحديثة بعد
مجهودات حاولوا فيها تجنب الأخطاء التي وجدوها في الترجمات
الانجليزية السابقة . وقد اشتملت هذه الترجمة على تصور لشكل الكون
حسبما جاء في الكتاب المقدس ، وضعوه في نهاية الإصحاح الأخير —
ورقمه ٣٤ — من سفر التثنية DEUTERONOMY ، وهو السفر الأخير
من أسفار موسى الخمسة . وهو الشكل الذي نجده في الصفحة التالية ،
ومنه يلاحظ الآتي :

— الأرض قائمة على أعمدة تسمى أعمدة الأرض ، Pillars of the
Earth ، وهذه تغوص في لجج المياه ، وبذلك تقوم القطعة الأرضية
على الماء .

— تعتبر الجبال أعمدة السماء Pillars of the sky
— تقع الهاوية sheol في قلب الأرض ، وهي مستقر أرواح الموتى .

— توجد مياه فوق جَلَد السماء

. WATERS ABOVE THE FIRMAMENTS

— تحيط بكل ذلك : السماء مسكن الله

. HEAVEN: THE DWELLING PLACE OF GOD

*

ولا يجد الإنسان صعوبة في معرفة المصادر التي جاء منها هذا التصور الوهمي لشكل الكون . فلقد جاء من الصفحات الأولى من سفر التكوين ، التي تتحدث عن خلق السموات والأرض ، وقد رأينا بعضا من فقراتها .

كذلك جاء هذا التصور من فقرات متناثرة في بقية أسفار ” الكتاب المقدس “ ، جاءت منها العناصر التي تصور شكل الكون مثل :
أعمدة الأرض : ” للرب أعمدة الأرض ، وقد وضع عليها المسكونة — صموئيل الأول ٢ : ٨ “ .

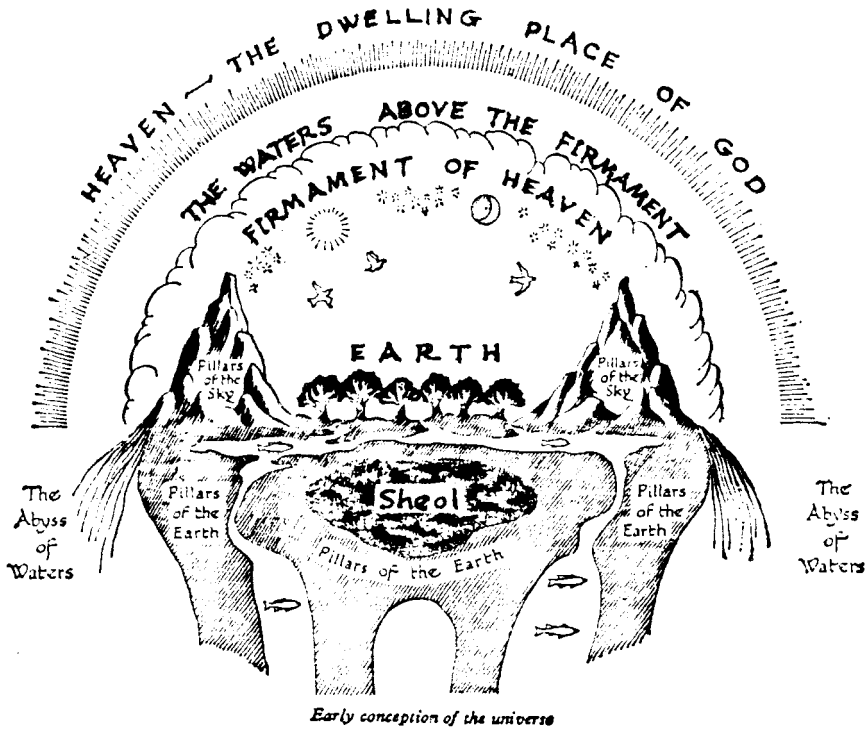
الأرض ممدودة فوق المياه ” (الرب) الباسط الأرض على المياه —
مزمور ١٣٦ : ٦ “ .

المياه التي فوق جَلَد السماء : ” وقال الله ليكون جَلَد في وسط المياه .
وليكن فاصلا بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد . وكان كذلك . ودعا الله الجلد سماء . وكان مساء وكان صباح : يوما ثانيا — تكوين ١ : ٦ — ٨ “ .

” سبحية يا سماء السموات ، ويا أيتها المياه التي فوق السماوات —
مزمور ١٤٨ : ٤ “ . ” المسقف علالية بالمياه — مزمور ١٠٤ : ٣ “ .

الهاوية :

” تنزلون شييتى بحزن إلى الهاوية — تكوين ٤٢ — ٣٨ “ .



"Blessed above sons be Asher;
let him be the favourite of his brothers,
and let him dip his foot in oil.
25 Your bars shall be iron and bronze;
and as your days, so shall your strength be.

The death of Moses

And Moses went up from the plains of 34
Moab to Mount Nebo, to the top of Pisgah,
which is opposite Jericho. And the LORD
showed him all the land, Gilead as far as Dan,
all Naph'tali, the land of Ephraim and
Manas'seh, all the land of Judah as far as the
Western Sea, the Negeb, and the Plain, that 3

26 "There is none like God, O Jesh'urun,
who rides through the heavens to your
help,

شكل الكون حسبما جاء في الكتاب المقدس

” ان ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاهها وابتلعتهم وكل ما لهم ،
فهبطوا أحياء إلى الهاوية ، تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب —
عدد ١٦ : ٣٠ “ .

دائرة الأرض :

الرب ” الجالس على كرة الأرض — ٤٠ : ٢٢ “ .
وهنا وقفة .. ذلك أن الترجمة العربية لهذه الفقرة من سفر اشعيا
تخالف حقيقة النص الأصلي الذى يتحدث عن دائرة الأرض ، وليس
كرة الأرض .
فبمراجعة الترجمات المختلفة ، سواء فى اللغة الواحدة (الانجليزية
مثلا) ، أو فى اللغات المختلفة (مقارنة الانجليزية بالفرنسية مثلا) ،
نجد الآتى :
أ — تراجم انجليزية :

- It is he that sitteth upon the circle of the earth . (King James Version) .
- It is he who sits above the circle of the earth. (Revised Standard Version) .

ب — تراجم فرنسية :

- C'est lui qui est assis au dessus du cercle de la terre. (Tr. L. Second).
- It trône au - dessus du cercle de la terre. (B.de. Jérusalem) .

ج — ترجمة ألمانية :

- Er thront uber dem Kreis der Erde (Nach der Ubersetzung Martin Luthers) .

هذا ولقد اتفقت جميع هذه الترجمات على مصطلح : دائرة الأرض
وليس كرة الأرض حسب الترجمة العربية المنحرفة ، وهذه الدائرة يقصد

بها دائرة الأفق التي ترى بالعين المجردة . ولا يمكن الزعم بأنها تشير إلى أن الأرض كروية ، بأي حال من الأحوال .

ومهما كان الحال ، فمن الواضح أن القول بأن الأرض تقوم على أعمدة تغوص في الماء ، إضافة إلى مكونات الكون الأخرى الموجودة في الشكل المرسوم ، ثم الجهل بحقيقة المجرات والحشود النجمية الأخرى .. كل ذلك يخالف تماما الحقائق العلمية التي أصبحت في متناول الجميع ، بعد التقدم العلمى الهائل فى غزو الفضاء واستكشاف محتواه والأتیان كل يوم بالعجائب التى تشير جميعها إلى عظمة هذا الكون واتساعه فى حدود شبه لا نهائية ، وتؤكد بذلك عظمة الخالق اللانهائية .

القرآن وحقائق العلم

خلق السموات والأرض :

فى هذا المجال يقدم القرآن للناس حقائق أساسية عن عملية خلق هذا الكون وما فيه ، فنعلم أنه :
— فى البدء كان الكل شيئاً واحداً ، فحدث الانفجار العظيم الذى خلق عوالم متكاثرة :

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا

مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٣٠]

لقد نشرت صحيفة ” إندبندنت “ البريطانية يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل ١٩٩٢ رسالة من أحد قرائها البريطانيين فى باب ” بريد القراء “ ترجمتها صحيفة ” الأهرام “ القاهرية ونشرتها بتاريخ ١ / ٥ / ١٩٩٢ كالآتى :

” من الدكتور ب . م — دودهى

سيدى : هكذا عثر العلماء على برهان يؤكد نظريتهم عن ” الانفجار الكبير “ (حول بداية الكون) . أليساً مدهشاً أنهم لم يفعلوا إلا أن أكدوا ما قاله القرآن منذ ١٤٠٠ سنة .

فقد جاء في الآية ٣٠ من سورة الأنبياء ما نصه :

﴿أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

أليس رائعا أن ييسط القرآن في آية قصيرة واحدة حقيقة نظريات
” الانفجار الكبير “ وخلق الحياة .

توقيع

ب . م . دودهي ايكنهان ميدلسكس

ولا تعقب هنا إلا التذكرة بقول الحق في القرآن ﴿سَرَّيْهِمْ
ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

[سورة فصلت : ٥٣]

— والكون يتسع ويتمدد إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا :

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات : ٤٧]

— والنجوم في السماء على أبعاد سحيقة ، لا يعلم قدرها إلا أولوا العلم .
ولقد ذكرنا شيئا من تلك الابعاد فيما سبق :

﴿فَلَا أُقْسِمُ

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَلُمُونَ عَظِيمٌ ۖ

إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۖ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۖ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا

الْمُطَهَّرُونَ ۖ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۖ

[سورة الواقعة : ٧٥ — ٨٠]

— وشكل الأرض شبه كروي ، فهي كالأدحية ، قريب من المجسم
البيضاوى :

فالأرض ليست تامة الكروية بسبب اختلاف طولى قطريها الاستوائى (الأكبر) والقطبى (الأصغر) . لكن الشكل العام لها يبدو كرويا من بعيد : ﴿ يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ .
[سورة الزمر : ٥]

فمن المعلوم أن النهار يتجلى نتيجة لتشتت ضوء الشمس الساقط على جسيمات الغلاف الجوى المحيط بالأرض ، إذ يعتبر قشرة تحيط بها من الهباءات والذرات : والليل والنهار متعاقبان بسبب دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، ويحدثان فى الغلاف الجوى للأرض باستمرارى حثيثة . ومن ثم يكون تكويرهما إشارة إلى تكوير الغلاف الجوى — مكان تخليقهما — وبالتالي يكون إشارة إلى استنباط كروية الأرض .
فمعاجم اللغة تقول : ” كار الرجل العمامة : أدارها على رأسه . وكل دور كور . ويقال : كورت الشيء ، إذا لففته على جهة الاستدارة “ .

— وللأرض حركة سبيح فى الفضاء على العكس مما يحسبه الإنسان ، فحين يقف أمام جبل يحسبه جامدا فى مكانه ، لكن القرآن يقرر بوضوح أن الجبال — وهى من المعالم الرئيسية فى الأرض — تمر مر السحاب . ومن ثم لابد أن تكون الأرض التى تحمل هذه الجبال تمر مر السحاب : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾
صُنِعَ اللَّهُ الَّذِى أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ لِّمَا تَفْعَلُونَ ﴿ ٨٨ ﴾

[سورة النمل : ٨٨]

— وصعود الإنسان فى طبقات الجو العليا ، دون احتياطات من أخطار هذا التصعيد ، يعرضه إلى خلل فى أداء الوظائف الحيوية ينتج عنه شعور بالضيق الشديد وغثيان وآلام حادة ونزيف . ويشير القرآن إلى ما يصيب

الإنسان أثناء تصعيده في طبقات الجو العليا ، فيقول :
﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ
فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأنعام : ١٢٥]

الرياح وحركة الحياة :

تعرف الرياح بأنها حركة الهواء بالنسبة لسطح الأرض (يابسة
وماء) . وتعرض الأجزاء المختلف من سطح الأرض إلى مقادير غير
متساوية من حرارة الشمس بسبب دوران الأرض وميل محورها وتغير
موضعها بالنسبة للشمس أثناء السنة وبسبب اختلاف توزيع مناطق اليابسة
والماء . ويؤدي هذا إلى نشوء تيارات الحمل على نطاق واسع حول
الكرة الأرضية على شكل أحزمة ولا سيما فوق خط الاستواء ، فتعرض
المناطق التي تتجمع عندها الرياح لصعود في الضغط مصحوب بالسحب
والأمطار ، بينما تتعرض المناطق التي تبتعد عنها الرياح لانخفاض في
الضغط فتتعدم السحب والأمطار وتكون بذلك الصحاري . وهكذا
تتحكم الرياح في شكل الحياة على الأرض يتحكمها في مياه الأمطار .

وخلاصة القول فيما يتعلق بالرياح وحركة الحياة ، هو ما تقرره دائرة
معارف العلم والتكنولوجيا ، إذ تقول :
” إن الرياح تعتبر مسئلة — بطريق مباشر أو غير مباشر — عن
إدارة ماكينة الحياة “ ، ^(١) .

وفي ” الكتاب المقدس “ . نجد الريح قد جعلت وسيلة نقل
للإله ، تحمله فيها إلى حيث يريد ! .

(١) Mc Graw-Hill ENCYCLOPEDIA of SCIENCE and
TECHNOLOGY, 1982 Vol. 14, p. 647.

” طأطأ السموات ونزل .. طار ورؤى على أجنحة الريح – صموئيل الثاني ٢٢ : ١٠ “ .

” هف على أجنحة الريح – المزمور ١٨ : ١٠ “ .

” المسقف علالية بالمياه . الجاعل السحاب مركبته . الماشي على أجنحة الريح – المزمور ١٠٤ : ٣ “ .

وحين نذهب إلى القرآن ، نجد توافقا تاما بين ما يقوله عن أهمية الرياح في إدارة ما كينة الحياة وبين ما يقوله العلم الحديث . فلقد أكد القرآن في آيات كثيرة تلك الأهمية وقرر أن إرسال الرياح وتصريفها إنما هي من أعمال الله المباشرة من أجل استمرارية الحياة على الأرض . فالحق يقول :

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

[سورة الروم : ٤٨]

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ

الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا

ثِقَالًا سَقَنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ

الشَّعْبَةِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

سورة الأعراف

وللرياح تأثيراتها المباشرة في عمليات التلقيح في الطبيعة وتكوين الأجنة المائية التي تكبر تدريجيا مكونة قطيرات السحابة ومن ثم قطرات المطر . وكذلك تكوين الأجنة النباتية التي تنتج الثمار :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ

لَوْحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

ولهذا أشار القرآن إلى أن تصريف الرياح يعتبر في حد ذاته آية من آيات الله الظاهرة في هذه الحياة :

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَلْقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . [سورة البقرة]
خلق الإنسان :

بدأ علم الأجنة في أوروبا متأخراً جداً ، فكانت بداية بحوثه العلمية في النصف الثاني من القرن السابع عشر . ويعرض لنا الدكتور كيث بور — أستاذ علم الأجنة بجامعة تورنتو — في مؤلفه المشهور : الإنسان المتطور ، نبذة تاريخية لبحوث الأجنة فيقول :

” في عام ١٦٥١ قام هارفي بدراسة أجنة الدجاج باستخدام عدسات بسيطة ، وتوصل إلى القول بأن الأجنة جاءت من افرازات الرحم . وفي عام ١٦٧٧ استخدم العالمان هام وليفين هوك ميكروسكوبا متطورا ، من خلاله الحيوان المنوي الذكري ، إلا أنهما لم يفهما دوره في عملية الإخصاب . فقد ظنا أنه يحتوي على جنين مصغر للإنسان (وبذلك لا دخل للمرأة في تكوين الجنين ، وتسمى هذه النظرية : نظرية التخليق المسبق) .

وقد انقضى الجدل نهائيا حول نظرية التخليق المسبق حوالي عام ١٧٧٥ عندما بين سبالانزاني أن كلا من بويضة الأنثى والحيوان المنوي الذكري ضروري لتكوين الجنين “ (١) .

” وفي عام ١٨٧٥ تمكن هيرتويج من ملاحظة كيف يلقيح الحيوان المنوي البويضة . واثبت بذلك أن كلا من الحيوان المنوي والبويضة يسهمان في تكوين البويضة الملقحة (الزيجوت) . وكان بذلك أول إنسان يشاهد عملية التلقيح هذه ويصفها .

(١) - Keith L. Moore: THE DEVELOPING HUMAN, Toronto, 1983

وفي عام ١٨٨٣ تمكن فان بندن من إثبات أن كلا من البويضة والحيوان المنوي يساهمان بالتساوي في تكوين البويضة الملقحة .

وقد اثبت بوفرى عام ١٨٨٨ وعام ١٩٠٩ أن هذه لكروموسومات تنقسم وتحمل خصائص وراثية .. .

وهكذا يبدو بوضوح أن الإنسانية لم تعرف بواسطة علومها التجريبية أن الجنين الإنساني (أو الحيواني) يتكون بامتشاج واختلاط نطفة الذكر ونطفة الأنثى إلا في القرن التاسع عشر ، ولم يتأكد لها ذلك إلا في القرن العشرين ،^(١) .



أما على الجانب الآخر فنجد أن هذه المعلومات الأساسية حق خلق الإنسان في متناول كل مسلم يقرأ القرآن ، يعرفها الصبي الذي يتلمذ على معلم للقرآن ، كما يعرفها البدوى الذي حفظ شيئاً من آيات القرآن .

فلقد جاءت أول آيات القرآن نزولاً تحدث الناس عن خلق الإنسان ، فتقول :

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ ﴾ .

[سورة العلق : ١ - ٢]

ويبين القرآن أن الإنسان خلق من اختلاط نطفتي الجنسين ، الذكر والأنثى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا ۚ ﴾

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن : الدكتور محمد علي البار — الدار السعودية

للنشر والتوزيع — ١٩٨٦ — ص ١٨٨

ولقد بين رسول الله ﷺ هذه الحقيقة في إجابته ليهودي سأله عما إذا كان تخليق الإنسان من الرجل أم من المرأة فقال له : ” يا يهودي ! من كل يخلق . من نطفة الرجل ونطفة المرأة “ . (أخرجه الإمام أحمد في مسنده)

وأن الإنسان في بطن أمه يمر بأطوار مختلفة :

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

[سورة الزمر : ٦]

خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [سورة نوح : ١٣ -

[١٤]

ثم يفصل القرآن ما أجمله عن خلق الإنسان فيقول :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخِرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

[سورة المؤمنون : ١٢ - ١٤]

إن من المعلوم أن ترجمة القرآن إلى اللاتينية بدأت في القرن الثاني عشر الميلادي . ولو حاول الأوروبيون الذين يقرؤون اللاتينية — وهم قليل في تلك العصور المظلمة — أن ينظروا في القرآن نظرة موضوعية تتسم بحيدة العالم المدقق لعرفت أوروبا مبكراً مبادئ خلق الإنسان التي أوردها القرآن بوضوح ، ولبدأ علم الأجنة فيها مبكراً قبل سبعة قرون .

ولكنه التعصب الأعمى والضلالات المتوارثة هي التي فعلت فعلها عبر القرون وعطلت تقدم الإنسان .

إن ما في القرآن من حقائق علمية — ينفرد بها عن سواه من كتب مقدسة أخرى — ليقطع بأنه كلمة الله الأخيرة إلى الناس كافة .

﴿وَلْيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْذَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيةٍ مِنْهُ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾

[سورة الحج : ٥٤ — ٥٥]

إن هذا قليل من كثير ، وإيجاز شديد من غير شرح أو تفصيل ، لبعض ما يمكن عرضه من مظاهر الإعجاز العلمى للقرآن فيما يتعلق بخلق الكون والحياة .

أما بعد :

إن ماجاء فى ” الكتاب المقدس “ بوجه عام ، وما جاء فى أسفار موسى — وخاصة سفر التكوين — من تصادم مع حقائق العلم فيما يتعلق بخلق الكون والحياة ، لهى أمور يبرىء منها أهل العلم موسى والانبياء ، فهى من عمل كتبة الأسفار الذين لم يراعوا الدقة فيما سطره ، وها هى مقدمة أسفار الشريعة الخمسة (أسفار موسى) تقول :

” ما من عالم كاثوليكي فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك (الكتب الخمسة) منذ قصة الخلق إلى قصة موته “ (١) .

(١) مقدمة الكتاب المقدس ، الصادر عن دار المشرق — بيروت — ١٩٨٣ .

(٢) صادرة عن دار المشرق — بيروت — ١٩٨٤ .

هذا تقرير إجمالي ، نجد تفصيلا له في كتب الشريعة الخمسة ،
الترجمة إلى العربية نقلا عن الترجمة الفرنسية المسكونية التي قام بها
١٢٥ عالما ، إذ تقول في تقديمها لسفر التكوين ما يقطع بانه من عمل
مؤلفين مختلفين تأثروا بأساطير الشرق الأدنى القديم :

” لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم
والبشرية ، أن يستقوا معلوماتهم ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، من
تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر
والمنطقة الفينيقية الكنعانية ..

على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر في الفصول الأولى من سفر
التكوين ، وأضافوا عليها اللمسات الأخيرة ، لم يكونوا مجرد مقلدين
عميان ، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم ..
بديهي أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية
العالم ، أو بأبطال العصور القديمة ، لا تخلو من الفائدة في نظر قارئ
الكتاب المقدس . فهناك كثير من الشواهد عن الماضي الأدبي في الشرق
الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم على يد الاله
مردوك ، ومغامرات جلجامش البطل المحتوية على رواية بابلية عن
الطوفان ، أو الابراج الشامخة التي شادتها مدن ما بين النهرين لإكراما
لآلهتها والتي تذكر برواية برجل بابل .

وُضعت روايات الآباء في زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة
إليها “ .

☆

إن الله الذي وسعت رحمته كل شيء ، يخاطب الناس جميعا في
القرآن العظيم ، آخر كتبه للناس ، فيقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ۖ فَسَيُدْخِلُهُمْ

فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة النساء]

الفهرس

٣	 مقدمة
١١	 مدخل إلى الإسلام
١١	 أولا — الإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعا
١٥	 ثانيا — عقائد وتعاليم أساسية في الإسلام
١٦	 ١ — الله
١٩	 ٢ — الأنبياء
٢٠	 ٣ — الإنسان
٢٢	 ثالثا — الموقف مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى

*

٢٧	 موجز لنقاط الإتفاق بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى
٢٩	 ١ — الله
٣٢	 ٢ — الأنبياء
٤٠	 ٣ — من تعاليم الحياة اليومية
٤٩	 ٤ — البعث والجزاء في الآخرة

*

٥٣	 موجز لنقاط الاختلاف بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى
٥٥	 ١ — الإله
٦٢	 ٢ — الأنبياء
٦٦	 ٣ — قضية صلب المسيح
٦٩	 ٤ — تحريف نصوص الأسفار
٧٢	 ٥ — نبوة محمد

٨١	 ملاحق
٨٥	الملحق رقم (١) : محو صيغة التثليث من الطبقات الحديثة
٨٩	الملحق رقم (٢) : روايات الصلب
١٠١	الملحق رقم (٣) : روايات القيامة
١٠٤	الملحق رقم (٤) : روايات الظهور
١١٠	الملحق رقم (٥) : روايات هلاك يهوذا الخائن
١١٢	الملحق رقم (٦) : ملخص لتنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل .
١١٨	الملحق رقم (٧) : المسيح في الأناجيل
١٣٧	الملحق رقم (٨) : بولس
١٦٦	الملحق رقم (٩) : المرأة في الأديان
٢٠٨	الملحق رقم (١٠) : شكل الكون حسبما جاء في الكتاب المقدس ..

* * *

المراجع الرئيسية

أ — تراجم عربية للكتاب المقدس

- ١ — الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط)
- ٢ — كتب الشريعة الخمسة (دار المشرق — بيروت)
- ٣ — العهد الجديد (دار المشرق — بيروت)

ب — تراجم انجليزية للكتاب المقدس

- King James Version — ٤
- Revised Standard Version (R.S.V.) — ٥

ج — تراجم فرنسية للكتاب المقدس

- Traduction Oecumenique de La Bible (T.O.B.) — ٦
- La Bible de Jérusalem — ٧

د — مراجع اخرى

- ٨ — الاسلام عقيدة وشريعة : الامام الاكبر محمود شلتوت — دار الشروق
القاهرة
- ٩ — Karen Armstrong: The Gospel According to Woman, Elm Tree, —
London, 1986
- ١٠ — G. Caird: Saint Luke, Penguin Books, London, 1963 —
- ١١ — J. Fenton: Saint Mathew, Penguin Books, London, 1963 —
- ١٢ — G. Wells: The Jesus of the Early Christians, Pemberton Books, —
London, 1971

* * *
ايداع رقم ١٩٩٢/٥٦٥٨

دار الجليل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الضجالة

جمهورية مصر العربية - تلفون: ٩٠٤٣٤٣

هذا الكتاب

يولد الانسان وقد ورث أشياء كثيرة من أبويه .
ولاشك أن الدين هو أخطر هذه الموروثات على
الاطلاق ، إذ يتوقف عليه المصير الابدي للانسان ...
إن العالم يموج بما لا حصر له من أديان
ومعتقدات ، والاختلاف بينها واقع ملموس . ولكن
أموراً مشتركة تُرى بين اليهودية والمسيحية والاسلام .
ومن هنا يأتي السؤال الذي يردده كل انسان مفكر :
لماذا الاختلاف في دين الله ؟! ...

من أجل ذلك كان هذا الكتاب الذي يقدم موجز
لأهم نقاط الاتفاق والاختلاف بين اليهودية
والمسيحية والاسلام ، تبصرة وذكرى لكل من يقول
أنه يؤمن بالله رب العالمين ...

” ليهلك من هلك عن بينة

ويحيا من حي عن بينة

وإن الله لسميع عليم . “

ويسر مكتبة التراث الاسلامي أن تقدم للقراء هذا
الكتاب باعتباره وسيلة لتصحيح كثير من المفاهيم التي
جانبها الصواب ، فيساعد على التقريب والمودة بدلا
من التباعد والجفاء ، خاصة ونحن في عصر يتجه نحو
العالمية ويبحث عن المفاهيم المشتركة بين الناس .

الناشر